

الإمام الخميني (قده)

تفسير آية البسملة

محاضرات معرفية



دار الفکر
طبعة ١٤٠٠ هـ



تفسير آيات البسملة
محاضرات معرفية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار الفيلسوف
للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تليكس: MCS٢٠٧٧٧ - ٢٢٥٩٧ بلاغ -
صرب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

تفسير آية البسملة

محاضرات معرفية

الإمام الخميني (قلا)

دار الفکر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يكون « الخميني المفسر للقرآن » من أبرز الأبعاد المخفية في شخصية الإمام الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني ، فقد حجبته عن الأنظار الأبعاد الجهادية في هذا العالم الرباني العارف والقائد الثائر والأدوار التاريخية التي تضمنتها شخصية الإمام على صعيد إحياء الإسلام وقيمته المحمدية الخالدة : ولكن هل يمكن إحياء الإسلام دون القرآن ؟! الإجابة واضحة ، وعلى أساسها يتضح أن البعد التفسيري للقرآن - ومن قناة الإمامة المعصومة وهي الثقل الثاني القرين الملازم للقرآن - هو البعد الأظهر في شخصية الإمام الخميني - قدس سره - باعتباره مجدد الإسلام في تأريخه الحديث .

هذا هو الإطار العام وهذه هي الملامح العامة لبعد « المفسر للقرآن » في شخصية العارف الخميني ، ولكن هل للإمام الراحل تراث تفسيري ومنهج في تفسير القرآن ؟! بالنسبة للشطر الأول من السؤال ، من المعلوم أنه لم تتح للإمام فرصة تصنيف تفسير كامل للقرآن الكريم وينقل أحد تلامذته أنه - رضوان الله عليه - كان يعتذر عن ذلك بأن الامر يحتاج

الى تفرغٍ كامل وهذا ما لم يسمح له به دوره التاريخي ومهامه النهضوية والإحيائية .

أما بالنسبة للشطر الثاني من السؤال فالإجابة عليه إيجابية بالكامل ، فلالإمام الراحل « متفرقات » تفسيرية متناثرة في مؤلفاته ورسائله ومحاضراته وخطاباته ، بعضها تخصصية بالكامل والبعض الآخر على نحو الإستشهاد ومن مجموع هذه المتفرقات يمكن إكتشاف منهج متكامل في التفسير يلتزم به الإمام في تعامله مع القرآن الكريم ، وحيث لا تتسع هذه المقدمة الموجزة للحديث عن هذا المنهج تفصيلاً نشير هنا الى أبرز خصائصه العامة وهي :

أولاً : إدخاله عنصر الأدعية المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في فهم المقاصد القرآنية إضافة الى الحديث ، الأمر الذي يعبر عن عمق فهمه لمقاصد الأدعية المروية عنهم بل إنه يصرح في المحاضرة الخامسة من محاضراته التفسيرية التي نقدم ترجمتها للقارئ العربي بأن الأدعية إنما هي تفسر القرآن .

ثانياً : الميزة الثانية لمنهج الإمام في التفسير القرآني هو إستناذه الى عنصر التدبر والإستنطاق لا التحميل في فهم القرآن وفي ذلك إستجابة عملية لنصوصه والنصوص الحديثية الداعية الى التدبر وإعمال العقل في فهم القرآن إضافة الى الإلتزام - والتدبر أيضاً - بتفسيرات الذي يسر القرآن بلسانه والمتعلمين من نبعه الإلهي الصافي ، وهذه الميزة تجعل المنهج الخميني في التفسير منهجاً إبداعياً مستزيداً في إستنطاق القرآن وإكتشاف المزيد من حقائقه التي لا ينزف بحرها .

ثالثاً : وكثمرة للميزة الثانية إمتاز هذا المنهج بتجسيده العملي

لمقتضيات تعدد البطون القرآنية إضافة الى ظواهرها ، وتتجلى هذه الميزة بوضوح في تفسيره - رحمه الله - لآيات من سورة الحشر ضمن رسالة تربوية لنجمله السيد أحمد ، حيث يطرح لتفسيرها عدة بطون تمتد طويلاً - ولا تتقاطع - على مراتب .

رابعاً: والميزة الرابعة هي تأكيده على الجانب الإحتمالي لآرائه التفسيرية ، وهذه الميزة إضافة الى مبرراتها الشرعية لها أثر إيجابي غاية في الأهمية في الإعانة على فهم البطون الأخرى للظواهر القرآنية ، إذ أن للجزم في طرح تفسير ما آثاراً سلبية في تجميد الذهن عليه وإغلاق أبواب التدبر ولو لا شعورياً ، كما أن هذه الميزة تجعل لهذا المنهج تحقيقاً علمياً بعيداً عن تحميل الآراء على المنطوق القرآني .

خامساً: ويمتاز المنهج التفسيري للإمام بطابع عرفاني واضح لكنه لا يغفل آراء وأقوال غير العرفاء وإستنطاقاتهم للآيات الكريمة وهذا الأمر يجعل المنهج الخميني في التفسير شمولياً يستوعب كافة الإلتفاتات ، وهذا الطابع العرفاني هو عملي بالدرجة الأولى وليس علمياً محضاً ، من هنا نلاحظ إمتياز التفسير الخميني بأنه تربوي يهتم بالمطالب التربوية المؤثرة على الجانب العلمي وفي ذلك تجسيد لكونه هدى للعالمين .

وجميع هذه المميزات يمكن للقارئ أن يلاحظها في هذه المحاضرات المعرفية في تفسير البسملة من سورة الحمد والتي نقدم ترجمتها العربية ، وهي خمسة دروس كان الإمام الراحل قد أفاض بها بعيد إنتصار الثورة الإسلامية (خلال شهر صفر عام ١٤٠٠ للهجرة) ، وقد بثت عبر جهاز التلفزة الإيرانية في التاريخ المذكور ، وقد سعى الإمام بحكم ذلك الى تبسيطها بما يتناسب مع عموميتها وكان ينوي مواصلتها إسبوعياً

كما يصرح بذلك في الدروس ولكن - مع الأسف - فقد حال دون إستمرار فيوضاتها المباركة توعدك صحة الإمام وعوامل أخرى غفر الله لمسببها الذين أوجدوا عقبات بوجه إنتشار المعارف الاسلامية من خلال مساهمتهم في الحيلولة دون إستمرار هذه المحاضرات المعرفية القيمة .

ملاحظة أخيرة نود الإشارة إليها هنا في المقدمة الموجزة ، وهي أننا حرصنا في هذه الترجمة على المحافظة على أسلوب المخاطبة المباشرة فيها بمعنى إبقاء حالة المحاضرة فيها ، آملين أن يفتح القارئ قلبه لهذا الخطاب المعنوي لينتفع من ثماره المباركة ، رزق الله صاحبها زيادة الدرجات العلى ورزقنا شفاعته وشفاعة أجداده الكرام إنه ولي التوفيق .

٢٠ / جمادى الأخرى / ١٤١٢

عرفان محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

وردت طلباتُ أن أتحدث في تفسير بعض الآيات القرآنية الشريفة ، في حين أن تفسير القرآن ليس من المهمات التي يستطيع أمثالنا أداء حقها ، بل إن علماء الطراز الأول - من العامة والخاصة - صنفوا - طول التأريخ الإسلامي - كتباً كثيرة في هذا الباب ومساعيهم مشكورة بلا شك ، ولكن كل منهم لم يَقم بأكثر من كشف أحد أغطية القرآن الكريم وفقاً لتخصصه ، وحتى في هذا الحد ما من يقين أن التفسير جاء كاملاً .

فمثلاً عمد العرفاء على مدى قرونٍ عدة الى كتابة تفاسير عديدة وفق طريقتهم وهي الطريقة المعرفية ، أمثال محيي الدين (ابن عربي) في بعض كتبه وعبد الرزاق الكاشاني في تأويلاته والملا سلطان علي في تفسيره وبعضهم أجاد التصنيف وفق هذا الفن ولكن القرآن لا ينحصر فيما صنفوا فما قاموا به هو إزاحة بعض الحجب عن القرآن الكريم وقراءة بعض أوراقه .

كما قام الطنطاوي وأمثاله وكذلك السيد قطب بتفسير القرآن بطريقةٍ

أخرى هي أيضاً ليست تفسيراً للقرآن بكافة معانيه ، فهم أيضاً كشفوا غطاءً واحداً آخراً عنه .

وللكثير من سائر المفسرين - من غير هاتين الطائفتين - تفاسير كتفسير « مجمع البيان » وهو تفسير جيد جامع بين أقوال العامة والخاصة ؛ وحال هذه التفاسير كحال سابقاتها ، فالقرآن ليس ذاك الكتاب الذي نستطيع نحن أو غيرنا تصنيف تفسير جامع له يحوي كافة علومه كما هي ؛ ففيه علومٌ هي فوق ما نفهم نحن ؛ نحن نفهم ظاهراً منه ونفسر غطاءً منه والباقي يحتاج الى تفسير أهل العصمة وهم المُعلّمون بتعليمات رسول الله .

* التفسير بالأهواء

وقد ظهر في الآونة الاخيرة أشخاص ليس من أهل التفسير أصلاً أرادوا تحميل ما لديهم من أفكار على القرآن والسنة حتى أنّ فئة من اليساريين والشيوعيين عمدت الى التستر بالقرآن أيضاً لعرض بضائعهم ؛ وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن فما يريدونه هو خداع شبابنا بما يقدمونه لهم على أنه هو الاسلام .

وعلى هذا فما أريد التنبيه إليه هو أنه لا ينبغي للذين لم يصلوا بعد الى المستويات العالية من النضوج العلمي أن يدخلوا مضمار التفسير ؛ فلا ينبغي للشباب غير المطلع على المعارف الإسلامية إقتحام ميدان تفسير القرآن ؛ وإذا حدث أن تطفل أمثال هؤلاء لغايات وأهدافٍ ما على ميدان التفسير ، فلا ينبغي لشبابنا أن يولوا أهمية أو يقيموا وزناً لمثل هذه التفاسير ؛ فقد ورد في الإسلام نهْيٌ صريحٌ عن « التفسير بالرأي »^(١) ، كأن

(١) « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » حديث نبوي مشهور راجع كتاب =

يعتمد أيُّ كان الى تلييس آرائه على القرآن فيطبّق المادي أفكاره على بعض الآيات القرآنية فيُفسر القرآن وفق رأيه؛ أو أن يعتمد أحد أصحاب الآراء المعنوية والروحية الى تأويل كل ما في القرآن الكريم ويرجعه الى ما يعتقدّه هو .

إن اللازم هو أن نجتنب كل ذلك فأيدينا ليست مطلقة العنان في هذا المضمار والباب ليس مفتوحاً على مصراعيه لكي يعتمد الإنسان الى تحميل كل ما يصله عقله على القرآن فيقول هذا ما يقوله القرآن .

* تفسيراتنا هي على نحو الاحتمال

وحيث أنني أتحدث ببعض الكلمات حول بعض من آيات القرآن الكريم فلا أدعي أن ما أقوله هو المراد والمقصود فيها؛ فما أقوله هو على نحو الاحتمال لا الجزم ولن أقول بأن المراد هو هذا لا غير .

واستجابة لما طلبه بعض السادة من أحاديث في هذا الباب قررت أن أتناول كل عدة أيام مرة - كأنه يكون في الأسبوع مرة - وضمن وقتٍ محدودٍ السورة الأولى في القرآن وإحدى السور الأواخر وأتحدث عنها بصورة مختصرة إذ لا يتسنى التفصيل لا لي ولا للآخرين وأكرر القول بأنّ هذا التفسير ليس على نحو الجزم وليس أنه هو المراد لا غير؛ إذ أنّ مثل ذلك هو من التفسير بالرأي؛ فما نعرضه هو ما يصله نظرنا وما نفهمه فنقله على نحو الاحتمال .

= القرآن في الإسلام للعلامة الطباطبائي ص ٨٢ طبعة منظمة الاعلام الاسلامي
وكتاب التعرف على القرآن للشهيد المطهري ص ٢٥ طبعة وزارة الإرشاد في
الجمهورية الإسلامية ، والحديث المذكور يرويه الشيخ الصدوق عن النبي
الاکرم (ص) في الغنية وأخرجه الترمذي في صحيحه ج ١١ ص ٦٧ .

الدرس الأول

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين

يُحتملُ أن تكون « البسمة » في جميع السور القرآنية مرتبطة بالآيات التي تليها ؛ ولقد قيل أن البسمة متعلقة بمعنى مقدر واحد ولكن الأقرب هو أن كل بسمة مرتبطة بنفس السورة - التي تفتتحها - ؛ فمثلاً في « الحمد » ؛ ترتبط البسمة بما بعدها ؛ فباسم الله تبارك وتعالى يكون الحمد له .

والإسم علامة ؛ وهو للتعريف ؛ ويُوضع لكل شخصٍ أو لكل شيءٍ إسمٌ لكي يكون علامة ومعرفاً له ، فعندما يُقال « زيد » يعرف الإنسان من هو المقصود بذلك .

✽ أسماء الله علائم ذاته^(١)

وأسماء الله هي أيضاً علائم ذاته المقدسة ؛ وأسماء الحق تعالى هي

(١) بحث الإمام هذا الموضوع بصورة أكثر تفصيلاً في كتابيه مصباح الهداية وشرح دعاء السحر وكلاهما بالعربية .

التي يمكن للإنسان التعرف على ذاته المقدسة من خلالها - ولو بصورة ناقصة - أما نفس الذات المقدسة للحق تعالى فلا يصلها إنسان حتى خاتم الأنبياء وهو أعلم وأشرف بني آدم فهو لا يستطيع الوصول الى مرتبة الذات تلك إذ لا يعرفها سوى ذاته المقدسة؛ أمّا ما يمكن لبني الإنسان الوصول إليه فهو أسماء الله^(١)؛ ولهذه الأسماء أيضاً مراتب نستطيع نحن أن ندرك بعضها فيما ينحصر إدراك البعض الآخر بأولياء الله والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأولئك المعلمين بتعليمه .

* العالم كافة إسم الله

والعالم أجمع هو إسم الله ، فالإسم هو العلامة ، وجميع الموجودات في العالم هي علائم على ذات الحق تعالى المقدسة؛ وغاية الأمر أن البعض يستطيع الوصول الى عمق كونها علامة فيعرف كيف أنها علامة والبعض الآخر يفهم الأمر على نحو الإجمال وذلك من خلال مقولة أن الموجود لا يحصل على الوجود من تلقاء نفسه ، وهذه حقيقة واضحة يستطيع إدراكها عقل أي إنسان بالفطرة ويفهم أن الموجود الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه مثل هذا الوجود الإمكاناني لا يمكن أن يُوجد بذاته فهذا الممكن يجب أن ينتهي الى وجود موجود بالذات أي الموجود الذي لا يمكن سلب الوجود منه وهو الأزلي الذي يستحيل سلب الوجود منه وسائر الموجودات الأخرى ممكنة الوجود والعدم وهذه لا تكتسب الوجود بذاتها فهي محتاجة الى مَنْ يُوجدها وهو خارجٌ عنها .

(١) راجع في هذا المجال كتاب « التوحيد العلمي والعيني » الذي يضم مراسلات آيات الله محمد حسين الكمباني والسيد أحمد الكربلائي وتذييلات العلامة الطباطبائي وتلميذه محمد حسين الطهراني عليها .

لو فرضنا هذا الفضاء الوهمي الذي ليس بشيء وليس له واقع خارجي أنه فضاء أزلي فلا يمكن أن يتبدل الى شيء موجود بنفسه أو أن يظهر فيه موجودٌ دون مُوجد .

وقول أولئك الذين يقولون بأنه كان في الدنيا مُنذ الأزل فضاءً غيرُ متناهٍ (والإشكال في اللامتناهي يبقى قائماً) ، ثم ظهر بعد ذلك هواءٌ وبخارٌ ومن هذا الموجود « البخار الذي في الفضاء » وُجد شيءٌ آخر وهكذا ؛ مثل هذا القول يخالف الضرورة العقلية التي تنفي تحول شيءٍ الى شيءٍ آخر بذاته ودون تدخلِ علةٍ خارجية ؛ فكل شيء يتبدل الى شيءٍ آخر يحتاج الى علةٍ خارجية وبدونها محالٌ أن يتبدل ؛ فالماء مثلاً يحتاج الى علةٍ خارجية ليصبح ثلجاً منجمداً أو ليصبح ماءً مغلياً وبدون هذه العلة الخارجية يبقى الى الأبد ماءً لا تصبح درجته تحت الصفر ولا فوقه ؛ فهو محتاجٌ الى علةٍ خارجية وشيءٍ خارجي حتى لا يتعفن ؛ وهذا توضيحٌ إجمالي لإحتياج كل معلولٍ الى علة وإفتقار كل ممكنٍ الى علة .

هذه هي من البديهيات العقلية فكل مَنْ يتصورها ويتأمل فيها يصدقها يصدق بأن الشيء الذي يمكن أن يكون أو لا يكون . محالٌ أو يُوجد أو ينعدم بذاته ؛ فلا يمكنه الإستغناء عن العلة فما من شيءٍ ينتقل بذاته من العدم الى الوجود بدون علة ؛ وهذا « الامتناع » هو من الضروريات العقلية .

* الموجودات آيات الله

وما تقدم هو إيضاحٌ إجمالي لقضية أن جميع موجودات العالم هو « أسماء الله » وآيات الله ؛ ويمكن لكافة العقول إدراك هذه الحقيقة ومعرفة أن كلّ العالم أسماء الله .

وأما المعنى الحقيقي للمطلب فليس فيه قضية التسمية؛ كأن نفرض أننا نريد أن نوصل لأحد معنى شيء ما كالمصباح مثلاً؛ عندها نطلقُ عليه إسمًا ونقول « مصباح » أو « سيارة » أو « زيد »؛ وهذه حقيقة واقعية عن موجودٍ غير متناهٍ في جميع أوصاف الكمال، والموجود غير المتناهي في جميع أوصاف الكمال هو موجودٌ لا حدَّ له وهذا الموجود ليس ممكن الوجود .

* المحدود ممكن الوجود .

فلو كان الموجود محدوداً فهو « الممكن »؛ أما الموجود الذي ليس له حدٌ في موجوديته أصلاً فيجب بالضرورة العقلية أن يكون حاوياً لجميع الكمالات، لأن فقدانه لأي كمالٍ يجعله محدوداً ولو أصبح محدوداً فهو « ممكن » وهذا هو الفرق بين « الممكن » و « الواجب »، فالواجب غير متناهٍ في كل شيءٍ وهو الموجود المطلق؛ أما الموجودات الممكنة فهي موجودات محدودة .

وما لم تكن جميع أوصاف الكمال موجودة في الواجب بصورةٍ غير متناهيةٍ ولا محدودة فإنه يكون « ممكناً » أي أن ما تصورناه « واجباً » ما هو بـ « واجب الوجود »، بل ممكناً .

ومثل هذا الموجود « الواجب الوجود » هو مبدأ الإيجاد والوجود؛ وجميع الموجودات التي تظهر من « مبدأيته » تكون مستجمعةً لنفس تلك الأوصاف ولكن على نحو النقص؛ وغاية الأمر أن لها مراتب؛ والمرتبة الأعلى هي المستجمعة لكافة أوصاف الحق تعالى بالقدر الممكن أن يكون في موجود واجد لذاك « الإسم الأعظم » .

* ما هو الإسم الأعظم ؟

الإسم الأعظم^(١) عبارة عن ذلك الإسم وتلك العلامة الحاوية لجميع الكمالات الحق تعالى على نحو النقص - أي النقص الإمكانى - ، فهو واجد لكافة الكمالات الإلهية نسبةً الى سائر الموجودات على نحو الكمال ؛ هذا هو الإسم .

والموجودات التي تأتي بعد هذا « الإسم الأعظم » ، واجدةً لنفس الكمالات ولكن بمقدار سعتها الوجودية ، حتى نصل الى هذه الموجودات المادية التي نتصور عدم وجود العلم فيها ولا القدرة ولا أي من الكمالات في حين أن الأمر ليس كذلك .

* كُلُّ يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ .

نحن في حجابٍ فلا نستطيع الإدراك ؛ إذ أن هذه الموجودات السفلية الأدنى من الإنسان والحيوان ، هذه الموجودات الناقصة تنعكس فيها جميع تلك الكمالات ، غاية الأمر أن هذا الإنعكاس هو بمقدار سعتها الوجودية ؛ فلديها إدراك أيضاً ، نفس الإدراك الموجود في الإنسان موجود فيها أيضاً : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾^(٢) نحن محجوبون فلا نفهم تسبيح الموجودات ؛ وأولئك الذين لا يعلمون أن من الممكن أن يكون هناك إدراك لموجودٍ ناقص ، يفسرون هذا التسبيح بأنه التسبيح التكويني في حين أن ما تقوله الآية هو

(١) للإمام الخميني بحث معمق حول الإسم الأعظم وأقسامه تجده في شرحه لدعاء السحر ص ٨٥ - ٩٨ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤ .

غير التسييح التكويني الذي نعرفه ونعرف أنه ليس تسييحها بمعنى أنها موجودات ولها علة ، كلا الأمر ليس كذلك ، بل إنها تسبح ؛ وقد ذكرت الأحاديث تسييح بعض الموجودات وما هو ؟! (١) .

في قصة تسييح تلك الحصاة الصغيرة في يد رسول الله صلى الله عليه وآله (٢) ما هو الذي سمعوه ؟! إنه تسبيحٌ تعتبرُ أجنبية عنه أذني وأذنك ، إنه نطقٌ وكلام ولغة ولكن لغته ليست لغتنا ونطقه ليس نطقنا ولكنه إدراك ، إدراك بمقدار السعة الوجودية للحصاة .

ولعل بعض المراتب العالية ولكونها ترى نفسها مصدر كافة الإدراكات تقول إن الموجودات الأخرى ليس لديها هذه الإدراكات - وبالطبع فإن لها إدراكات تلك المرتبة - ، ونحن أيضاً ولكوننا لا ندرك حقائق هذه الموجودات ، فنحن محجوبون عنها لذلك فلسنا مطلعين ولكوننا لسنا مطلعين نتصور عدم الكثير من الأشياء .

(١) أورد الشيخ المفيد في كتاب « الإختصاص » عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : - « ما من طير يصاد إلا بتركه التسييح . . . » ص ٢٥ من طبعة وزارة الإرشاد في الجمهورية الإسلامية .

(٢) أفرد العلامة ابي جعفر رشيد الدين محمد بن شهر آشوب (متوفى سنة ٥٨٨ هـ) فصلاً خاصاً في نطق الموجودات في كتابه الشهير (مناقب آل أبي طالب) ص ٩٠ - ص ١٠٢ ضمن حديثه المفصل عن مناقب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وأورد فيه قصة تسييح الحصاة في يد الرسول الأكرم ضمن روايات أخرى عديدة في هذا المجال ، يقول رحمه الله : - « . . . وأتاه مكرز العامري وسأله آية فدعا (ص) تسع حصيات فسبحن في يده ، وفي حديث فوضعهن على الأرض فلم يسبحن وسكنن ثم عاد وأخذهن فسبحن . . . » المناقب ص ٩٠ طبعة قم ايران .

* المجاهيل الكثيرة

كثيرة هي الاشياء التي يتصورها الإنسان معدومة لكنها موجودة؛ أنا وأنت أجنب عنها .

الآن يقولون أن هناك مجهولات إتضح ، فمثلاً النباتات التي كان الجميع فيما مضى يقولون بأنها صامته؛ يقولون الآن بأنه يمكن سماع ضجيج - بواسطة أجهزة وهوائيات خاصة - ينطلق من جذور الشجرة التي توضع في ماء مغلي؛ أنا لا أعلم هل هذا صحيح أم كذب؟! ولكن العالم مليء بالضجيج وجميع ما فيه حي وجميعها إسم الله أيضاً ، كل شيء هو إسم الله؛ أنتم أنفسكم أسماء الله ، ألسنتكم أسماء الله أيضاً وكذلك أيديكم .

* الحركة بسم الله

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ عندما تحمدون الله فهنا إسم الله أيضاً؛ عندما تتحرك ألسنتكم فهنا إسم الله ، وعندما تقومون وتذهبون الى منازلكم فبإسم الله أيضاً تفعلون ذلك ، لا يمكنكم عزل إسم الله ، فأنتم أنفسكم أسماء الله؛ ونبضات قلوبكم إسم الله؛ النسمات المتحركة هي إسم الله . وانطلاقاً من هذا ، فلعل ما تريد قوله الآية الكريمة هو هذا المعنى ، وهو وارد في الكثير الآيات الأخرى ، حيث يكون بإسم الله كذا وكذا ، فكل شيء إسم الله يعني الحق وأسماء الله ، فكل شيء هو ، فالإسم فإن في المسمى ، نحن نتوهم أننا مستقلون وأننا « شيء » وما نحن بشيء ، فلو إنقطع لحظة شعاع الوجود ، ذاك الذي تكون الموجودات موجودة به وبذلك الإرادة وذلك التجلي ، لو إنقطع لحظة لعادت جميع الموجودات الى « اللاشيئية » ولخرجت من الحالة الوجودية

الى حالتها الأولى ، إذ أنّ إستمرارية الموجدية أيضاً هي قائمة بنفس هذا التجلي ؛ وبتجلي الحق تعالى وُجد عالم الوجود كافة ، وذلك التجلي والنور هو أصل حقيقة الوجود ، وهو إسم الله : ﴿ الله نور السموات والارض ﴾^(١) ؛ أي أنها تجلي الله ، يعني النور ، فكل شيء له تحقيق إنما هو ظهور ذلك النور ، نحن نسمي هذا نوراً لأنّ له ظهور ؛ والإنسان ظاهر فهو النور ؛ وكذلك الأمر مع الحيوانات فهي نوراً أيضاً ، وجميعها نور الله : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ ، ويعني أن وجود السموات والأرض - وهو عبارة عن نور - هو من الله ؛ وهو فإن الى درجة أن ﴿ الله نور السموات ﴾ وليس أنّ « بالله تنور السموات » لأن هذه الصيغة تشير الى نمطٍ من الإستقلالية : أما ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ ؛ فهي تعني أنها - السموات والارض - جميعاً لا شيء ؛ فليس لدينا في العالم موجد له نحو من الإستقلال .

إن معنى الاستقلال هو الخروج من حدّ الإمكان الى حدّ الوجوب في حين لا موجد غير الحق تعالى ؛ ولذا يقول عز وجل : ﴿ بسم الله الحمد لله ﴾ أو ﴿ بسم الله . . . قل هو الله أحد ﴾ ؛ فبإسم الله قلّ إذ أنّ المراد هو - إحتمالاً - أن قلّ بسم الله الرحمن الرحيم أنّ هذه الحقيقة هي هذه الصورة أي بمعنى ليكن قولك بسم الله : ﴿ يسبح لله ما في السموات والأرض ﴾^(٢) وليس « من في السماوات والأرض » .

كل ما في الأرض والسماء يسبح لهذا الموجد وبإسم الله وهو تجليه تعالى وبهذا التجلي تتحقق جميع الموجودات وكافة الحركات هي من نفس التجلي .

(١) سورة النور الآية ٣٥ .

(٢) سورة الجمعة الآية ١ .

* الكل من تجلياته

كل ما يحدث في العالم هو من هذا التجلي ؛ ولأن جميع الأشياء والأمر منه وإليه ترجع ؛ لذا فليس لأي موجود شيء من ذاته ، بل ليست هناك « ذاته » في الامر .

ذاك الذي يقف في مقابل « مبدأ النور » ، ويقول أنا أيضاً لدي شيء ؛ هذا يعني أنه يقول : أن هذا الوجود من عندي ، في حين أن نفس « عندي » هذه هي ليست من عندك . . والعين التي لديك هي ليست من عندك ، فهي وجدت بتجليه تعالى .

كل « حَمْدٍ » وثناءٍ يصدر عنا وعنهم إنما يكون بإسم الله ؛ بسبب إسم الله ؛ ولهذا أيضاً قوله بإسم « الله » .

* « الله » : التجلي الجامع .

« الله » هو التجلي الجامع ؛ تجلي من الحق تعالى الجامع لكافة التجليات ؛ ومن هذا التجلي تكون تجليات « الرحمن » و « الرحيم » « الله » تجلي الحق تعالى ، والرحمن والرحيم هي من تجليات هذا التجلي .

« الرحمن » أوجد بالرحمة والرحمانية كافة الموجودات ؛ وهذه الرحمة هي أصل وجود الرحمة ؛ وحتى ذاك الوجود الذي أعطي للموجودات الشريرة هو أيضاً رحمة ، الرحمة الواسعة التي وسعت كل الموجودات يعني أن جميع الموجودات هي عين الرحمة ؛ جميعها رحمة ، و« الله » هو بإسم الله هو هذا التجلي الذي هو تجلي بالمعنى التام .

المقام الذي يستطيع إظهار التجلي بالمعنى التام هو هذا الإسم

الجامع ، إسمٌ هو أيضاً تجلي نفس ذات الحق تعالى ، إسم أيضاً ، و« لا إسم له ولا رسم » إسمه ، إسمٌ « الله » ، وإسم « الرحمن » ، وإسم « الرحيم » جميعها أسماء ، جميعها تجليات ، وإبإسم « الله » - وهو الجامع لكافة الكمالات بمرتبة الظهور - وذكر « الرحمن والرحيم » له من باب أنه الرحمة والرحمانية والرحيمية ؛ أما أوصاف الغضب والإنقام فهي تبعية وليس بالذات ، الرحمة هي بالذات ، والرحمانية والرحيمية هي بالذات ، أما تلك الأوصاف فهي تبعية .

بسم الله الرحمن الرحيم . . . « الحمد لله » ؛ كل المحامد وكل كمال وكل ثناء يقع في هذا العالم هو له تعالى ، والإنسان يتوهم أنه عندما يتناول طعاماً لذيذاً فيمدحه أنه يثني على هذا الطعام ولكن هذا الحمد هو لله تعالى ولا يدري الإنسان ذلك ؛ يمدح إنساناً ما فيقول أي فيلسوف وعالم هو ؟ ! لكنه إنما يمدح ويحمد ويثني على الله ولا يدري ، لماذا ؟ ! لأنّ هذا الفيلسوف والعالم ليس لديه شيء من نفسه ، فكل ما هو موجود هو تجليه تعالى ، والذي أدرك عقلياً أنه تجليه تعالى فإنّ نفس هذا الإدراك هو أيضاً وكذلك حال المدرك ، فكل شيء منه تعالى .

الإنسان يتوهم أنه يمدح هذه السجادة أو هذا الشخص لكنه لا حمد ولا ثناء يقع إلّا لله تعالى ؛ لأنكم إنما تمدحون شخصاً لشيء فيه ، فالمدح لا يكون للعدم ؛ وكل شيء هو موجود منه تعالى لذا فكل حمد ومدح وثناء فهو له : « الحمد » يعني كافة المحامد والله كل ما هو حمد وله تعالى حقيقة الحمد .

نتوهم أننا نمدح ونحمد زيداً أو عمراً أو نور الشمس أو نور القمر ، لكننا في الحقيقة محجوبون ؛ محجوبون عن هذه الحقيقة ؛ لا ندري بها

فهي مستورة عنا .

نتوهم أننا نمدح ونحمد هذا أو ذاك لكن عندما تُرفع الحجب نرى
أن جميع المحامد هي له ، وأن نفس حمدنا له هو من تجليه .

﴿ الله نور السموات والارض ﴾ ، تعني أن كل حسن منه وكل
الكَمالات منه أي من تجلياته ؛ تجلى مرة فأوجد كل العالم ؛ نتوهم أننا
نقومُ بعمل ما بأنفسنا ولكن : - ﴿ وما رميتَ إذ رميتَ ولكن الله رمى ﴾^(١) ؛
« رميتَ وما رميتَ » ؛ فالرمي هو أيضاً تجلي ؛ ومن التجلي الرمي ؛ لكن
« ما رميتَ » تجلي الرمي ، « إن الله رمى » أولئك الذين بايعوك إنما بايعوا
الله ؛ وهذه اليد أيضاً تجلي الله ، وغاية الأمر أننا محجوبون فلا نعلم ما
الأمر؟! ؛ نحن جميعاً محجوبون إلا ذاك المُعلّم بتعليم الله وأولئك
المعلمون بتعليمه .

وإستناداً لما تقدم أقول أنه أصبح واضحاً أن من الممكن طرح
إحتمال أن يكون « بسم . . » هذا بـ « الحمد » بمعنى أنه بإسمِ الله تكون
جميع المحامد له تعالى ، فتجليات الله هي التي تجذب إليها كافة
المحامد فلا يكون حمداً وثناءً لغيره ؛ بمعنى أنكم مهما أردتم فلن تستطيعوا
أن تحمدوا الغير ، إنكم تحمدون وتمدحون الغير ولكن كل حمدكم
وثناءكم يقع لله تعالى ، وكلما تفكرون وتتوهمون أنه « الغير » فمن جهة
عدم العلم .

وكلما أردتم أن تضغطوا على أنفسكم لتقولوا كلمةً لغير الله لا
تستطيعون ذلك إذ لا كلام لغير الله ، فكل ما تقولونه عنه وما هي بنقائص .

(١) سورة الأنفال الآية ١٧ .

للموجودات جهتان ، الأولى الجهة الوجودية والأخرى جهة النقص
الجهة الوجودية نورٌ وهو لا نقص فيه ، فهو منزّه عن النقص ، و« اللاتات »
ليست منه ؛ ولا يمكن مدح « اللاتات » ، فالمدح والحمد هو دائماً
لـ « نعم » ، أي للوجود والكمال ؛ ولا كمال في العالم الا لكمالٍ واحدٍ هو
كمال « الله » والجمال هو أيضاً جمال « الله » .

* « التصديق غير الاعتقاد العلمي »

يجب أن نفهم هذه الحقائق ؛ أن نعيها بقلوبنا لا بألسنتنا ؛ فيأدراك
هذه الكلمة بالقول أمر يسير ولكن إيصالها الى القلب وفهم هذا الموجود
الممكن فهمه بحيث يصدقه القلب أمرٌ صعب .

فمرة يقول الإنسان - باللسان - إن هناك جنةً ونار ، وقد يكون معتقداً
بذلك ولكن التصديق غير الاعتقاد العلمي ؛ قد يحصل على البرهان أيضاً
ولكن التصديق شيء آخر .

العصمة الموجودة في الأنبياء هي ثمرة التصديق واليقين ؛ فالذي
يصدق يقيناً من المستحيل أن يتخلف ؛ أنتم عندما تصدقون أن أمامكم
شخصاً شاهراً سيفه يقطع به عنق من يعصيه ، تصبحون معصومين عن
معصيته ، يعني يصبح من المستحيل أن تصدر عنكم معصية له ، لأنكم
تحبون أنفسكم فلا يمكن أن تصدر عنكم مخالفة .

الذي يصدق أن « كلمة غيبة واحدة » ، يقولها بحق شخص في مكة
مثلاً ، تؤدي الى ظهور صورته - هناك - وكأنه يمد لسانه من هنا ويظهر في
مكة حيث الشخص الذي إغتابه ؛ فتطأ لسانه أقدام الناس من هنا الى
هناك - أي من محل المستغيب الى محل المغتاب -

والذي يصدق أن « الغيبة إدام كلاب النار »^(١)؛ أي أن الذي يغتاب تبتلعه كلاب النار ليس بالابتلاع المتعارف وينتهي الأمر؛ بل إبتلاع يسحق وجوده ، وعندما يذهب الى هناك أيضاً تبتلعه

نقول إن الذي يصدق ذلك لا يمكن ايضاً أن يغتاب؛ ونحن عندما نغتاب أحياناً - والعياذ بالله - فلأننا لم نحصل لدينا التصديق بذلك

* الصور الأخرى للأعمال .

الذي يصدق أن جميع الأعمال التي يفعلها هنا لها صورة هناك في العالم الآخر؛ فاذا كانت الأعمال حسنة فصورتها حسنة وإن كانت سيئة فصورتها سيئة^(٢) .

والذي يصدق أن هناك حساب - ولو كان على نحو الإجمال فافرضوا

(١) روى الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن الإمام السجاد عليه السلام أنه سمع رجلاً يغتاب آخر فقال : - « إياك والغيبة فإنها إدام كلاب النار » ص ١٧٢ ونحوه مروي عن الإمام علي عليه السلام في كتاب الوسائل ج ٢ ص ٢٣٨ وكذلك في بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٤٨ .

(٢) يتضمن حديث قصة معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الى السموات العلى الكثير من مصاديق الصور الاخرى للأعمال كما أن هناك العديد من الآيات الدالة على ذلك ، راجع الآيات الكريمة : -

١ - سورة الكهف الآية ٤٩

٢ - سورة آل عمران الآية ٣٠

٣ - سورة النجم الآية ٤٠

٤ - سورة الزلزلة الآية ٦ - ٨ . . وغيرها

والأحاديث الأخرى كثيرة في هذا الباب .

آن التفصيل ليس لازماً - ؛

والذي يصدق أنه لو وقع في الغيبة هنا فسيُحاسب عليها هناك وإنّ هناك جهنم إذا آذى المؤمنين ؛ وأن هناك جنة إذا قام بالخيرات والمبرات هنا ؛ الذي يصدق بذلك فسيلتزم إذا كان الأمر تصديقاً وليس مطالعة كتاب وإدراك عقله له ؛ فهناك فرق بين الإدراك العقلي والتصديق النفسي والقلبي - ولا أقصد هنا القلب الحقيقي -

* الإدراك العقلي والتصديق .

في الإدراك العقلي كثيراً ما يحدث أن يدرك الإنسان عقلاً قضية ما ولكنه لا يلتزم بمقتضياتها عملياً لأنه لم يصدقها فإذا ما صدقها عمل وفقاً .

والإيمان هو عبارة عن هذا التصديق ؛ العلم بالنبي لا يثمر هذه الفائدة ؛ لكن الإيمان بالنبي يثمر هذه الفائدة .

لا تكفي إقامة البرهان على وجود الله تبارك وتعالى في إيجاد « الإيمان بالله » ، بل الإيمان يثمره التصديق القلبي الذي يجعل الإنسان خاضعاً لله ويثمر الإيمان به تعالى ؛ وإذا حصل الإيمان جاء كل شيء تبعاً له .

إذا صدّق الإنسان أنّ هناك موجوداً هو مبدأ هذا العالم وهناك حساب وأنّ هناك مرحلة بعد الموت وأن الموت ليس فناً بل هو إنتقال من نقص إلى كمال ؛ فهذا التصديق يحفظه من كافة الأشياء ومن كافة الانحرافات ؛ فالأصل هو هذا التصديق ولكن المسألة الوحيدة هي كيف يحصل هذا التصديق ؟!

هذه الآية الشريفة تقول ﴿ بسم الله . . . الحمد لله ﴾ حسناً؛ لقد أوضحت أحد أبعادها - وأكرر أيضاً أنّ ما قلّته هو على نحو الإحتمال لا الجزم - ؛ فإذا صدق الإنسان أنّ جميع المحامد هي لله فعندها لن يحدث في قلبه شرك وإذا أثنى على أحد فلكونه من تجليات الله .

* علي (ع) التجلي الإلهي العظيم

إذا أنشد قصيدةً في مدح الأمير علي (ع) فهو يريد أن يقول أنه يدرك أنها لله ، لأن الامام عليه السلام هو التجلي العظيم لله ، ولكونه كذلك لذا فإن ما فرضتموه مدحاً له فهو مدحٌ لله من خلال مدح تجليه .

إذا أيقن الإنسان وصدّق أن المحامد لله لأعرض عن نفسه : إنّ ما ترونه ويراها من كثرة ضجيج الإنسان بمقوله : - ﴿ لمن الملك ﴾ ؛ وما ترونه من كثرة غرور الإنسان يرجع الى كونه لم يعرف نفسه ، فإن : - « من عرف نفسه فقد عرف ربّه »^(١) ؛ لا يدري أنه لا شيء ولو عرف ذلك وصدّق به ، وصدق أنّ كلّ ما هو موجود منه تعالى لعرف ربه .

والمشكلة الأساسية هي أننا لا نعرف لا أنفسنا ولا ربّنا ؛ ولا إيمان لنا لا بأنفسنا ولا برّبنا ؛ لم نصدق أننا لا شيء ولم نصدق أنه هو كل شيء ؛ وما لم يحصل هذا التصديق فلا فائدة من إقامة البراهين مهما زادت ، وإتسعت ؛ إذ تبقى تلك « الأنانية النفسية » فاعلةً .

إنّ أقوال (أنا كذا وأنت كذا) هي جميعاً إدعاءات فارغة من أجل

(١) حديث مشهور مروي عن الإمام علي عليه السلام ، راجع شرح الشيخ ابن ميثم البحراني على المائه كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام (الكلمة الثالثة ص ٥٧ من طبعة جماعة المدرسين في حوزة قم المقدسة) .

الرئاسة وأمثالها ، وأصلها بقاء الأنانية التي ما دامت باقيةً فالإنسان يرى نفسه .

* رأس البلاء . . .

جميع المصائب التي تنزل على رأس الإيمان؛ تصدر من حب النفس؛ فالإنسان يحب نفسه؛ في حين أنه لو أدرك حقيقة الأمر وجدانيّاً لعرف أن نفسه لا شيء وهي للغير وحبه للغير؛ وقد سموه إشتباهاً بـ « حب النفس »؛ وهذا الإشتباه يدمر الإنسان ، فجميع المصائب التي تحلُّ بنا هي من حب الجاه وحب النفس هذا؛ حبُّ الجاه هو الذي يقتل الإنسان ويدمره ويؤدي به الى النار .

وحب الجاه وحب النفس هذا هو: « رأس كل خطيئة »؛ جميع الخطايا تصدر من حب النفس وحب الجاه ، ولكون الإنسان ينظر الى نفسه ويعجب بها ويحبها لذلك فهو يريد كلَّ شيءٍ لها ويعادي كل ما يمنعه عن ذلك أو يتوهم أنه مانع؛ ولكونه يريد كل شيء لنفسه لذا فهو لا يضع لذلك حدوداً ومن هنا كان « حب الدنيا رأس كل خطيئة »^(١) .

(١) مروي باختلاف يسير عن الإمامين السجاد والصادق عليهما السلام (الأصول من الكافي للشيخ الكليني باب ذم الدنيا والزهد فيها وباب حب الدنيا والحرص عليها ، ويُلاحظ أن النص يعتبر « حب الدنيا » بصورةٍ مطلقة بأنه رأس كل خطيئة دون تخصيص لحرامها عن حلالها ، وقد نبّه الى ذلك الإمام الخميني - قدس سره - وحذّر من حب الدنيا مطلقاً (راجع رسالته لنجله السيد أحمد المؤرخة في ١٧ / شوال / ١٤٠٤ هـ . ق المطبوعة مع مجموعة أشعار عرفانية للإمام تحت عنوان « نقطة عطف » بالفارسية .

* كل المحامد لله .

كتابُ الله إبتدأ بمطلبٍ ينبهنا الى جميع القضايا؛ فعلى نحو الإحتمال إن جميع القضايا تتضح عندما يقول تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ ؛ فهو لا يريد القول : - إنَّ بعض المحامد لله ؛ عندما يقول هو قادر ولكني أحمّد لكم لا لله !! ؛ ولكنّ جميع المحامد لله .

عندما يقول تعالى : - « الحمد لله » فهو يعني أن جميع أقسام الحمد وحيثيته هي من الله ولله ؛ أنتم تتوهمون أنكم تحمدون غيره ولكنه هنا يكشف غطاءً عن كافة القضايا ؛ ونفس هذه الآية الكريمة الفريدة تكفي الإنسان لو صدّقها ولكن المسألة هي في التصديق .

﴿ الحمد لله ﴾ ؛ جميع المحامد لله ؛ ولو صدّق الإنسان بهذه الكلمة فقط لخرجت من قلبه كافة أنواع الشرك ؛ وذلك الذي يكشف أنه لم يشرك بالله طرفة عين أبداً ، إنما حصل على هذا التصديق وجدانياً ؛ وصل إليه بوجدانه وأدرك المطلوب ؛ وهذا ما لا يمكن للبراهين أن تؤدي إليه فليس لها الأصالة والإقتدار المطلوب ؛ البرهان جيدٌ فلا نقول أنه شيءٌ ولكنه يجب أن يكون وسيلة ؛ فالبرهان وسيلة إذ انكم وفق عقولكم وبالسعي والإجتهاد تستحصلون الإيمان .

* خشيةُ قدم الإستدلاليين .

الفلسفة وسيلة فليست مطلوبةً بذاتها ؛ وواجب الإستدلال هو إيصال القضايا والمعارف الى عقولكم و « خشيةُ هي قدم الإستدلاليين »^(١) ؛

(١) ترجمة نثرية لصدر بيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني المولى جلال الدين الموسوي الرومي ، وكامل ترجمة البيت هي :

خشية هي قدم أصحاب الاستدلال والقدم الخشبية هي في غاية العجز

المقصود هو أن هذه القدم خشبة تجعل الإنسان قادراً على السير؛
والإنسان حقيقةً يستطيع السير بها . إنها عبارة عن تلك القدم التي يرى بها
الإنسان تجليات الله - فيستند إليها - ليدخل الإيمان قلبه ويحصل بالوجدان
الذوقي الذي يوجده على مرتبة من الإيمان وهناك مراتب إيمانية أسمى .

ءأمل أن لا نكتفي بقراءة القرآن وتفسيره؛ بل المهم أن نصدق
بمسائله؛ وأن نصدق بكل قدم وكلمة نقرأها من القرآن فهو الكتاب
الهادف الى بناء الإنسان بناءً صحيحاً ، وهو يصنع الموجود الذي أوجده
بنفسه ، أوجده بالإسم الأعظم وجعل فيه كل شيء موجوداً بالله ولكن ليس
بصورة جليلة .

القرآن يريد أن ينقل الإنسان من هذه المرتبة الناقصة الى تلك
المرتبة التي تليق به ، ولهذا الهدف تنزل القرآن وكانت بعثة جميع
الأنبياء ، حيث أنهم بُعثوا ليأخذوا بيد الإنسان وينقذوه من هذه البئر
العميقة التي سقط فيها وأعمقها بئرُ « النفسانية »؛ ويهدوه الى تجليات
الحق لينمي ويذهل عن كل شيء . . . رزقنا الله ذلك بمشيئته عز
إسمه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ختام الدرس الأول من دروس الإمام الخميني (رض) في التفسير
٢ / صفر / ١٤٠٠ هـ . ق

Three concentric circles are drawn on the page. The innermost circle is the most prominent, with the text 'الدرس الثاني' centered inside it. Two additional circles are drawn around it, one slightly larger and one even larger, both centered on the same point. The circles are drawn with a dark, slightly grainy line.

الدرس الثاني

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدُ
لله رب العالمين .

كان الكلام في « بسم الله » ؛ فيماذا يتعلق هذا الجار والمجرور ؟
قلنا - على نحو الإحتمال - إنَّ أحد الإحتمالات هو أن تكون البسملة في
كل سورة متعلقة بنفس هذه السورة بالمعنى الذي يناسبها ؛ فمثلاً في سورة
« الحمد » يكون معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » هو أنَّ « الحمد بسم
الله » ؛

وإستناداً الى هذا الإحتمال يكون معنى البسملة في كل سورة مختلفاً
عن معنى البسملة في السورة الأخرى ؛ وعلى هذا يجب
البحث - مثلاً - عن الإسم الذي يناسب بسملة سورة الحمد ، فما هو
الإسم الذي يكون به الظهور للحق - تعالى - ويقع الحمد لله بهذا الإسم ؟
وهكذا يجب البحث عن معنى الإسم المناسب في بسملات السور
الأخرى ؛ فمثلاً في سورة « قل هو الله . . . » ، ما هو الإسم المناسب
لقول « هو الله أحد » ؟ ،

ومذكور في الفقه أنه لو قرأت البسملة لسورة وأردت قراءة سورة أخرى فالبسملة الأولى لا تكفي ويجب تكرار البسملة مع السورة الأخرى؛ وهذا الأمر يناسب المعنى المتقدم من إختلاف معنى البسملة في كل سورة عن الأخريات؛ ولو لم يكن هناك إختلاف في المعنى بين بسملات سائر السور لما كانت البسملة جزء من كل سورة سوى في سورة الحمد وهنا أيضاً هو من باب التبرك كما يقول البعض؛ وليس هذا القول بالصحيح .

وفيما يتعلق بسورة الحمد التي نحن بصدددها ، فـ « بسم الله » هنا متعلقة بالجار والمجرور الذي بعدها ، وأحد الاحتمالات هو أن « الحمد » يعني جميع مصاديق الحمد من أي حامدٍ كان ، فكل حامد يحمد إنما بإسم الله ؛ يعني أن الحامد نفسه إسم - الله - وجميع أعضائه وجوارحه أسماء أيضاً ، والحمد الصادر من الإنسان هو باعتبار أن هذا الإسم يحمد باسم الله ، وأنت أيضاً إسمٌ آخر وزيدٌ كذلك إسم ، فكلٌ منكم من أسماء الله ، يعني مظاهر الأسماء : - « الفاعل الإلهي فاعل الوجود » ؛ إنتهوا الى كون أن الفاعل الإلهي - وهو فاعل الوجود - يتميز عن الفواعل الطبيعية بفروق منها أن الشيء الذي يصدر من المبدأ الإلهي ويُسمى بالفاعل الإلهي ؛ هذا الصادر هو فاعل في المصدر بحيث ليس له أي حيثية من نفسه وليس له أي نحو من الإستقلال ، ولتقريب المعنى للذهن نشبه الأمر بشعاع الشمس في مقابل الشمس - وإن كان الأمر ليس كذلك أيضاً فهو فوق هذا التشبيه - ؛ ولكن على أي حالٍ فمثلاً أن شعاع الشمس لا إستقلال له أصلاً في مقابل الشمس ، كذلك الحال مع الفاعل الإلهي وهو نفس الإيجاد ونفس الوجود الصادر عن مبدأ الخير فليس له أي نحو من الإستقلال بنفسه ، لا في التحقق ولا في البقاء ولا لموجود واحد ، فلو إنقطع عنه شعاع الوجود لما إستطاع البقاء لأنه محتاجٌ الى المبدأ في البقاء

مثلاً هو مفتقر إليه في أصل التحقق ؛ .

ولأن الموجودات لا حيثية لها من أنفسها ولكونها فانية في المبدأ لذا فإنها وفي نفس الوقت الذي تكون ظهور أسماء الله فهي أنفسها أسماء الله ، إنها أسماء الله الفعلية .

* فناء الظاهر في مبدأ الظهور .

ففي نفس الحال الذي يكون فيه نور السموات والأرض ظهور نور الله : - ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ ، يكون أيضاً ظهوره لا أن يكون هو نفسه ، لكن العلاقة بين الظاهر ومبدأ الظهور هي أن هذا الظاهر فإن في مبدأ الظهور ، فهذا الموجود فإن في مبدأ بحيث لا يكون له أي شكل من الإستقلال ، فهذا هو وهذا الظهور هو الفاني فيه ولهذا قال - عز وجل - : - ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ .

* احتمالات « الحمد » .

وعلى القول بأن الألف واللام في « الحمد » هي إستغرافية وأن « بسم الله » متعلق بها ، فإن كل حمدٍ من أي حامدٍ إنما يتحقق باسم الله ، والحمد هو إسمه ، وعلى أحد الإعتبارات فالحامد والمحمود واحد ، ظهور ومظهر : - « أنت كما أثبتت على نفسك ، أعوذ بك منك »^(١) ، فلأن الحامد يكون فانياً في المحمود من هنا يكون وكأنه هو الذي يشني ، فما من حيثية للغير لكي نقول إنني أثني عليه فهو الذي يشني من باب - الفناء - .

(١) في مناجاة الشاكرين والراغبين من المناجاة الخمسة عشر للإمام السجاد توضيحات دقيقة لهذا المعنى .

وهناك احتمال آخر هو أن لا تكون الألف واللام في « الحمد » للإستغراق ، أي أن يكون تكثير فردي للأفراد . إنَّ نفس الطبيعة مجردة عن جميع الخصوصيات هي « الحمد » ليس له تعيّن بأيّ نحو كان ، وهنا يكون معنى « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله » الحمد بدون تعيين ، الحمد المطلق .

وبناءً على هذا الإحتمال ، تصحح محامدنا عكس الإحتمال الأول فلا تكون واقعة له^(١) . فالحمد الذي يقع له هو الذي ينعله بنفسه ، فالحمد الصادر عن غير حمدٍ محدودٍ متعيّنٍ وهو - تعالى - غير محدود ، وحمد المحدود لغير المحدود لا يصبح حمداً ، ويكون عكسه ما تقدم قوله من أن الحمد لا يكون إلّا لله ؛ فأنتم تتصورون أنهم يمدحون الخط الحسن لكنهم يمدحون الله لا الخط ، تتصورون أنكم تمدحون النور أو تمدحون العالم ولكنه مدح « الله » لا العالم ، هكذا تقدم القول من أن جميع المحامد لله ، فكل ما هو حمد ومن أي حامد صدر يرجع الى الله ، لأنّه ما مِنْ كمالٍ ولا من جمال في العالم سوى كماله وجماله ، أما الموجودات فليست بشيء فلو نُزِع عنها هذا التجلي لما بقي منها شيء فهي موجودة به .

- فيما تقدم - قيل أن جميع الموجودات هي تجليات الله ونوره : - ﴿ الله نور السموات . . . ﴾ ولو نُزِع هذا التجلي ما بقي موجود ، ولكونه تجلي وكون أن المدح هو للكمال فلا يقع مدح لغيره - تعالى - إذ لا كمال غير كماله ؛ كماله ظهور كمال ذاته ، وكمال في

(١) توضّح هذا المعنى بدقة مناجاة الذاكرين من المناجاة الخمسة عشر للإمام علي ابن الحسين السجاد عليهما السلام .

مقام الظهور ، كمالٌ في مقامِ الذات ، كمالٌ في مقام الصفات . كمالٌ في مقام الظهور ، جميع كمالات العالم هي كماله ، وفي مقامِ الظهور كل من يمدح إنما يمدحُ كمالاً ، وعليه فكل مدح يقع ، يقع له ، هكذا هو الأمر وفق الإحتمال الأول .

أما في هذا الإحتمال الثاني - وهو إحتمالٌ طبعاً - ، فيكون الحمدُ حمداً مطلقاً لا حمداً كل حمد ، الحمد المطلق يعني حمداً دون غير ودون قيد ، حمداً ليس فيه أي قيد ، والحمدُ الذي يصدر عنا جميعه حمد متعينٌ ولمتعين ، إذ لا سبيل لنا الى الموجود المطلق لكي نحمده ، لا ندركه حتى نحمده ، أنتم حتى عندما تقولون « الحمد لله » فلا يحصل إدراك تلك « الحقيقة » لكي يكون الحمد له ، لذا فكل حمد يقع لا يكون له لمظاهرة على العكس مما ورد في الإحتمال الأول حيث كل حمدٍ يقع لا يكون لغيره ، في حين أن الأمر في الإحتمال الثاني هو أن كل حمدٍ يقع لا يكون له سوى حمده نفسه ، أي أن يحمد نفسه بنفسه .

وعلى هذا فلا يمكن أن يكون « الإسم » في « بسم الله . . الحمد لله » ، على نفس المعنى الأول أي أنك أنت إسم وهو إسم والآخر إسمٌ أيضاً ، هذا إسم الله وظهور المطلق بلا قيد ، وعلامة المطلق أن يكون بلا قيد ، ظهورٌ من الغيب وإسم الغيب ، وبذلك الإسم يكون وقوع الحمد أي يحمد بنفسه تلقائياً ، الظهور يحمد المُظهِر؛ وهذا أيضاً قولٌ على نحو الإحتمال؛ وبالطبع يكون المتعلق بإسم الله هنا متعلقاً بالحمد ، فحيناً كل مصداقٍ من الحمد وحيناً صرف وجود الحمد الذي ليس له أي قيد .

مرةً تكون جميع المحامد الواقعة لله لا لغيره ، ومرةً أخرى لا يقعُ أي حمدٍ لله - بمعنى الحمد المطلق - ، أي يكون حمداً محدوداً لا حمداً

مطلقاً ، وعندها يكون معنى « الحمد لله » ذلك الحمد المطلق غير المقيد بأي قيد ، ويقع له بالإسم المناسب له ، وهذا أيضاً احتمال آخر .

كما ذكروا احتمال أن لا تكون البسملة متعلقة بنفس السورة ، وقال البعض أنها متعلقة بظهور الوجود فيكون معنى البسملة أن كل شيء يوجد إنما يكون وجوده بإسم الله يعني الإسم مبدأ ظهور جميع الموجودات ؛ وهذا الإسم عبارة عن المشيئة التي ورد ذكرها في الحديث الشريف : - « إن الله خلق المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة »^(١) .

* المشيئة هي الظهور الأول

والمشيئة هي عبارة عن الظهور الأول الذي خلقه بنفسه أي بدون واسطة ، ويكون خلق كافة الأشياء الأخرى بالمشيئة ؛ ويحتمل أن يكون الوجود الذي هو ظهر الوجود ، تتعلق به البسملة التي لا تتعلق بالسورة بل بشيء خارجي ؛ وهذا ما يراه أهل الأدب مناسباً لمثل الحالة مع « أستعين » وأمثالها ، فلو كانت إستعانة بالله - ولو أن أهل الأدب لا يلتفتون - فهي إستعانة باسم الله ، فكل من يستعين إنما يستعين باسم الله فلا يمكن لأحد أن يستعين بغير إسم الله ؛ لا أن يكون إسم الله أمراً لفظياً وشكلياً بل هو حقيقة واقعية ؛ فإسم الله ظهوره في كل شيء^(٢) والإستعانة هي باسم الله ؛

(١) يرويه الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد بسند متصل عن الإمام الصادق عليه السلام (الباب ١١ ص ١٤٧ - ١٤٨ ، الحديث ١٩) ، وقريب منه ما في الباب ٥٥ ص ٣٣٩ الحديث الثامن بسند متصل عن الصادق عليه السلام أيضاً .

(٢) راجع في هذا المجال المقاطع التي ورد فيها ذكر « إسم الله » في الأدعية المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ، خاصة دعاء كميل بن زياد ودعاء السمات .

بهذا الظهور؛ وكلُّ شيءٍ يكون بهذا الظهور ، وهي ترجع إليه ولولم يلتفت الأديب .

« الله » هذا الذي يرتبط بالمتعلق ما هو ؟ ! ، فيما يرتبط بالإسم قلتُ سابقاً أنه علامة المسمى ، فأى شيءٍ موجود لا يكون علامة على هذا الإسم ؟ أى شيءٍ تفرضون له وجوداً بنحو ما هو ظهورٌ له بنحو ما وعلامة له .

* مراتب الأسماء

الإسم هو العلامة ، وغاية الأمر أن له مراتب ، فهناك إسم يجسد تمام معنى العلامة ، وهناك إسم دونه حتى يصل الى مرتبة سائر الموجودات ، فجميعها علامات وجميعها ظهورٌ للإسم على مراتب . ورد في الحديث الشريف « نحن الأسماء الحسنی »^(١) ؛ فالإسم الأعلى في مقام الظهور هو النبي الأكرم ، والأئمة الأطهار؛ أولئك الذين وصلوا في مرتبة السير - في مرتبة الحركة من النقص - وصلوا الى حيث تحررهم من جميع الطبيعيات من كل شيء ، أولئك ليسوا أمثالنا حيث نحن في هذه البئر العميقة .

* هجرة الى الله .

نحن لم نتحرك؛ هناك أشخاصٌ تحركوا وخرجوا من هذه البئر وهاجروا: - ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه

(١) يرويه الكليني في الكافي بسنده عن معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام ، ونص الحديث هو: - « نحن والله الاسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد الا بمعرفتنا » راجع تفسير الميزان ج ٨ ص ٣٨٤ .

الموت فقد وقع أجره على الله ﴿١﴾ .

أحد الاحتمالات هو أن هذه الهجرة هي من النفس الى الله ، و« البيت » هنا هو نفس الإنسان ، فهناك طائفةٌ خرجوا وهاجروا عن هذا البيت الظلماني : - ﴿ مهاجراً الى الله ورسوله ﴾ الى أن وصلوا الى منزل : - « أدركه الموت » ، وصلوا مرتبةً لم يعد لهم فيها شيءٌ من أنفسهم ، موتٌ مطلقٌ ، وعندها « وقع أجرهم على الله » ؛ فهنا أجر آخر ، ما هو الجنة ولا أشكال النعيم الأخرى ، هنا « الله » فقط .

إن من يتحرك ويخرج من بيت نفسانيته ويهاجر الى الله والى رسوله - وهذه أيضاً هي هجرةٌ الى الله - ، يصل الى مرتبة « أدركه الموت » ﴿٢﴾ ، وعندها لا يكون هناك شيءٌ من نفسه ، كل ما هو موجود هو من الله ؛ هذا ما يشاهده في هذه الهجرة ، وأجره على الله .

طائفةٌ هاجروا هذه الهجرة ووصلوا الى المنتهى وأجرهم أيضاً على الله ، وآخرون مهاجرون على الدوام . فهم طائفة في حالة هجرة مستمرة لكنهم لم يصلوا الى « آيات الهجرة » وهي « أدركه الموت » ؛ وهناك طائفة مثلنا ، لا هجرة لنا أصلاً ، فنحن في هذه الظلمات أسرى هذه الدنيا والطبيعة وأشد منها أسرى « أنانية » أنفسنا سجناء هذه البئر العميقة ، سجناء في بيت النفسانية ؛ وبناءً على هذا الإحتمال ، فإننا لا نرى إلا أنفسنا وكل ما نريده هو لأنفسنا ، ليس لدينا غير النفس ولم نفكر أصلاً

(١) سورة النساء الآية ١٠٠ .

(٢) يقول مولى الموحدين الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٢٠١ من نهج البلاغة « وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم » ، ويقول عليه السلام في الخطبة ٢١٨ : - « .. قد أحيا قلبه وأمات نفسه . . . » .

ولم نسع للذجرة؛ فكل ما نفكر به هو في بيت النفسانية .

* الودية الإلهية .

جميع القوى الإلهية التي أودعها الله فينا أمانة لدينا ، لا نردها الى صاحبها؛ نصرفها على ما هي عليه هنا - في هذا البيت - ولا زلنا فيه ولا نزال ، ويوماً بعد آخر نزداد بُعداً عنه ، عن هذا المبدأ ، عن المحل الذي يجب أن نهجر إليه؛ وقد روي أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان قاعداً مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدة عظيمة - صوتاً رهيباً - ، فارتاعوا وسألوا عن هذا الصوت فقال (ص): - « حجرٌ أُلقي من أعلى جهنم مُنذُ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها » ، فقال ذوو القلوب الحية « فسمعنا إن كافراً - منافقاً - قد مات وكان عمره سبعين سنة »^(١) ، ونحن أيضاً سائرون بهذا الإتجاه ، غاية الأمر أنني مُنذُ ثمانين عاماً أسير بهذا الإتجاه ، وأنتم مُنذُ سنوات عديدة؛ وأرجو أن لا تسيروا أنتم أيضاً بهذا الإتجاه .

* أعدى الأعداء .

كل ما يجري علينا وكل ما نبتلي به هو من حب النفس ، من هذه « الأنانية » ، « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك »^(٢) ، هكذا ورد التعبير عن النفس ، فهي الأسوأ من كل الأعداء ، وأكبر من كل الأوثان ، فهي، أم الأوثان ، إذ أن الإنسان يعبدها أكثر من سائر الأوثان ، يتوجه إليها

(١) راجع كتاب علم اليقين للفيض الكاشاني ج ٢ ص ١٠٠٢ (المقصد الرابع الباب الثالث عشر - الفصل الرابع) .

(٢) حديث نبوي مشهور ، راجع بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج ١٥ ص ٤٠ إذ ينقل حديثاً عن النبي الأكرم (ص) قريباً من مضمون الحديث .

أكثر من سائر الأوثان ؛ وما لم يحطم هذا الوثن فلا يستطيع أن يصبح إلهياً ، فلا يمكن الجمع بين الله وبين الوثن لا يمكن الجمع بين الأنانية والإلهية .

✽ العبادة الحقّة .

ما لم نتحرر من هذا البيت ، من معبد الأصنام هذا ، وما لم نتحرر من هذا الوثن ونعوض عنه ونتوجه الى الله تبارك وتعالى ؛ وما لم نخرج من هذا البيت فنحن من عبدة الأصنام حتى لو كنا موحدين ظاهرياً .

نقول « الله » بألسنتنا ولكن الذي في قلوبنا هو أنفسنا ، نريد « الله » لأنفسنا ، وإذا كنا نريد « الله » لأنفسنا ؛ فإننا نقف ونصلي ونردد ألفاظ : - ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ، ولكن العبادة هي في الواقع هي عبادة النفس ؛ وعندما يكون الالتفات والتوجه هو للنفس عندها أرى جميع الأبعاد بالنفس ، وأريد جميع الأشياء لنفسى .

✽ « الأنانية » أم المصائب .

جميع هذه المصائب التي تحل بالإنسانية ناشئة من هذه النقاط من « أنانية الإنسان » ، جميع الحروب في هذا العالم من هذه الأنانية ، فما من حرب ونزاع بين المؤمنين ، فإذا نشبت حربٌ بين المؤمنين فليعلموا أنهم ليسوا مؤمنين ، فلا حربٌ بين المؤمنين .

ولكن حيث لا يكون هناك إيمان ، وحيث أن توجه الانسان الى النفس ، لذا فهو يريد كل شيء لنفسه ؛ ومن هنا يقع النزاع ، أنا أريد هذه الأريكة لنفسى وأنتم تريدونها لأنفسكم ، وحيث لا يمكن الجمع يقع التعارض والتضاد ؛ أنا أريد هذا البساط لي وأنتم تريدونه لكم ، أنا أريد أن

تكون هذه الرئاسة الوهمية لي وأنتم تريدونها لكم ، وحيث لا يمكن الجمع بين الإرادتين ينشب النزاع .

هذا يريد هذه الدولة له والثاني يريد لها لنفسه ، فتقع الحرب ، جميع هذه الحروب في العالم هي بين الأنانيات ، الانسان يحارب بأنانيته والحروب ، هي حروب الأنانيات وهي معدومة بين الأولياء لأنهم لا أنانيات لديهم ، فلو اجتمع الأولياء في مكان واحد لما نشب بينهم أبداً ولا ظهر إختلاف بينهم لأن كل شيء هو « لله » ، فلا مكان هنا للنفس ، لكي يجز هذا البساط الى طرفه فيحدث الإختلاف وينشب بينهم النزاع .

الجميع هم لمبدأ واحد ويسيرون بنفس الإتجاه ، ولكننا نحن واقعون في بئر عميقة وظلمات أشدها ظلمة هي ظلمة « الأنانية » وما لم نخرج منها فلا سبيل للخروج من تلك البئر العميقة .

ما دُمنّا في ظلمات الأنانية فسنظل لا نلتفت إلّا الى أنفسنا ، فنعتبر الآخرين لا شيء أما أنفسنا فهي كل شيء ؛ وكل ما يُطرح يقبله الإنسان إذا ينفعه وإلا فلا يرضى به حتى إذا كان حقاً ، يصدق به فوراً اذا كان يرى فيه منفعةً لنفسه ، وإلا لا يصدق به بتلك السرعة ، وكل ذلك ناشئ من الأنانية .

كل المصائب التي تجلُّ بنا وبكم وبينى آدم في كل مكان ناشئة من هذا المنبع ؛ فالنزاع ناشئ من الأنانية ؛ من كوني أنا أجز الى طرفي وانت الى طرفك .

وما دامت هذه الأنانية موجودة فما من « إلهية » وما من عبادة الا عبادة النفس .

* الهدف من بعثة الأنبياء

والآن من هو القادر على الخروج من معبد الأوثان هذا الموجود في داخل الانسان ذاته ؟!

الأمر يحتاج الى يد غيبية تأخذ بيد الإنسان وتخرجه من هذا المعبد؛ ولهذه الغاية كانت بعثة جميع الأنبياء .

لقد بُعث كافة الأنبياء وأنزلت كافة الكتب السماوية لأجل إخراج الإنسان من معبد الأصنام هذا وتحطيمها وتحويله الى عابد لله .

جاء الأنبياء جميعاً لتحويل عالم الإنسانية هذا الى عالم إلهي بعد أن أصبح عالماً شيطانياً يخضع لحكومة الشيطان .

والحاكم علينا هو الشيطان ونحن أتباعه فهو النفس هو من مظاهر الشيطان وحكمه علينا ، لذا فكل عمل نقوم به هو عمل شيطاني ، وكل ما نفعله ، نقوم به بأنانية ما دام فيه دخل للشيطان الأكبر وهو النفس الأمارة ، وحيث نفعله بأنانية فنحن تبع لشيطاننا .

الشيطان مهيمن علينا الآن الى أن نهاجر ونخرج من هذا البيت بتعليم الأنبياء والأولياء وتوجيههم ، ونعرض عن هذه الأنانية وتحقق ذلك يعني أننا بدأنا نخرج من هذه البئر ونسير الى ذلك الجانب ، وإذا أفلح شخص - في هذه الدنيا - بالوصول الى ذاك المحل الذي لا يخطر في أوهامي ولا أوهامك ، عندها ينعدم ويفنى ؛ والذي يطلب الكمال عليه أن يهاجر هذه الهجرة .

* الجهاد الأكبر .

على من يريدُ الخروج من هذه الأنانية أن يهاجر هذه الهجرة بالمجاهدة يجاهد ويهاجر ، جئتم من الجهاد الأصغر : - « وبقي عليكم الجهاد الأكبر »^(١) ، وسائر أشكال الجهاد في الدنيا تبع لهذا الجهاد ، فلو انتصرنا فيه لكان كل جهادٍ نقومُ به هو جهاد ، وإذا لم ننجح في هذا الجهاد لكانت سائر أشكال جهادنا الأخرى شيطانية .

فالذي خرج للجهاد من أجل الحصول على « جارية » ، أو طعام فهذا هو أجر جهاده ؛ أما الذي كان لله فأجره أيضاً على الله ، فسنخية الأفعال تختلف ، وهناك فرق بين الأفعال الصادرة عن أولياء الله وبين تلك الصادرة عنا ، لأن المصدر مختلف .

* الإخلاص الإلهي .

هل كانت : - « ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين »^(٢) دونما مبرر ؟! ضربة واحدة لقتل شخصٍ واحد تفضل عبادة الثقلين ، فلماذا ؟ بالطبع هذا التفضيل يرجع من جهةٍ الى كون أن هذه الضربة جاءت عندما برز الايمان كله الى الشرك كله فلو كانت هزيمة لعلي يوم الخندق لضاع الإسلام ، هذا من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى هناك ذلك الإخلاص والإلهية ، فعندما جلس الإمام على صدر ذلك الشخص ثم بصق هذا على الإمام نهض الإمام - حسبما يروى - لئلا يكون لذلك تأثيرٌ (وهذا الموقف هو من باب الإحتياط أيضاً والا فـ « الأنا » غير مطروحة

(١) الإختصاص ص ٢٤٠ ، وكذلك في البحار ج ٦ ص ٤٤٣ عن الكافي .

(٢) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢ .

أصلاً بالنسبة له) ، وهذا الموقف صدر من الجنة الإلهية فيه وظهر في الجنة النفسانية ، لذا فهذه الضربة تعبر عن روح أسمى من كل العبادات ، هي الروح التي تجعل العبادة عبادةً .

حسب الظاهر فإنّ الفرق بين المشرك وغير المشرك هو في عبادة الأصنام فالأول يعبد الأصنام والثاني لا يعبدها ، وله أذكار وأوراد تتشابه ظواهرها ، أبو سفيان كان يصلي ومعاوية كان يأُم صلاة الجماعة الطواهر متشابهة ، أما الذي يرفع الصلاة فهي الروح تُنفخ في الصلاة ، فإذا وُجدت هذه الروح إرتفعت الصلاة وأصبحت إلهية ؛ وبدون ذلك تكون عبادة من أجل النفس ، وهذا هو حالنا جميعاً فلا نخادع بعضنا البعض .

* عبادة من أجل الجنة .

إن عبادتنا جميعها هي من أجل أنفسنا ، والصالح جداً هو الذي يعبد من أجل الجنة ؛ فارتفعوا الجنة من ثواب الأعمال ولاحظوا من الذي يبقى يعبد؟! عليّ يبقى وحوض علي ، علي الذي : - « عشق العبادة وعانقها » ؛ فالعبادة من أجل الجنة غير مطروحة بالنسبة للذي غرض الطرف عن نفسه وهجرها وخرج من هذا البيت ووصل الى مرحلة « الموت » فلم تعد اللذات مطروحة أصلاً بالنسبة له فهو ذاهل عنها وميتٌ عنها « أدركه الموت » فلم تعد هذه الأمور مطروحة بالنسبة له أصلاً ، وعنده الجنة والنار والجميع على حدٍّ سواء : - « أثنى على ذات الله تعالى » ، أثنى على الله إذ وجده أهلاً لأن يُعبد ووجد أنه أهلاً لأن يعبده ، وهذه مرتبة من مراتبهم ؛ وهي أن يجد عاشق العبادة أنه أهلاً للعبودية وأن يعبد المعبود؛ وهناك مراتب أخرى أيضاً هي فوق ما نتصور نحن .

* القيام لله .

والقدم الأولى هي أن تقررُوا الخروج من هذا البيت وتخرجوا ،
القدم الأولى أن يقومَ الإنسان قياماً لله ، أن يستيقظ ، أن لا يبقَ نائماً مثلما
نحن الآن في سبات ظاهره اليقظة ؛ يقظة حيوانية وسبات ونوم الإنسانية ؛
نحن نائمون : - « الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا »^(١) ، نيامٌ الآن وعندما
يحصل الموت ينتبهوا الى أي واقع كانوا فيه ؟ ! ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ مَحِيطةٌ
بالكافرين ﴾^(٢) ؛ أي أنها الآن أيضاً محيطةٌ ولكن الإنسان لا يعتبر لأنه في
خدر الطبيعة - حيث الإنسان طبيعتهُ الخدر - فاذا زال هذا التخدير ينتبه
ويرى أن الكل أصبح ناراً .

يجب سلوك هذا الطريق فلا مناص ، سيأخذوننا فيه على كل حال ،
ولكن علينا أن نستيقظ بأنفسنا ونسلك الطريق المستقيم الذي يجب أن
نسلكه وعلينا الخضوع لتربية الأنبياء .

لقد جاء جميع الأنبياء لإصلاح الإنسان ، وما من نبيٍّ بُعثَ دون أن
يكون هدفه إصلاح الإنسان ، إقامة العدل ليست سوى إصلاح بني
الإنسان ؛ فالعدل يصدر من الانسان وكذلك الظلم ، وإقامة العدل تعني
تحويل الظالم الى عادل والمشارك الى مؤمن ؛ تحويل هذا الموجود الذي لو
ترك لحاله لكانت عاقبته الهاوية وجهنم ، والأنبياء يرشدون هذا الوجود الى

(١) من الكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وهي الكلمة الثانية من
الكلمات المائة التي شرحها ابن ميثم البحراني ص ٥٤ من طبعة جماعة مدرسي
حوزة قم ، والحديث منقول أيضاً في كتاب « عوالي اللآلي » ج ٤ ص ٧٣ وكذلك
في بحار الأنوار ج ٤ ص ٤٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ٤٩ وكذلك العنكبوت الآية ٢٤ .

الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه؛ نحن الى الآن لم نسلك هذا الطريق وقد تصرمت من العمر سبعون وثمانون سنة ولم نتحرك ولم نهجر الى الآن لا زلنا واقفين حيث نحن من هذه الارض والى النهاية نحن على هذا الحال ولكن لا مناص علينا أن نتحرك ونسلك الطريق .

* وصية للشباب .

أنتم أيها الشباب تستطيعون العثور على الطريق الأفضل ، لقد فاتنا الأمر ، وذهبت قوانا الى حيث عاقبتها ، أنتم أيها الشباب تستطيعون بصورة أفضل أن تهذبوا أنفسكم ، فأنتم أقرب للملكوت من كبار السن ، إذ أن جذور الفساد أقل تأصلاً فيكم ، لم تمتد كثيراً بعد ، لكنها تتأصل وتتكاثر في كل يومٍ ما دامت باقية؛ ويصعب الأمر كلما تأخر وتعرقل ، فمفسرٌ للغاية على الشيخ العجوز إصلاح حاله إذا أراد ذلك ، ولكن الشاب يستطيع تحقيق ذلك أسرع .

يتحقق إصلاح الآف الشباب ، ولا يتحقق إصلاح عجوز واحد ، لا تركوا أمر الإصلاح لأيام الشيخوخة ، إبدأوا - الآن - سِيرَكم ما دمتم شباباً ، إجعلوا - الآن - أنفسكم تابعة لتعاليم الأنبياء وهذا هو مبدأ المسيرة ومنه يجب الإنطلاق ، فالأنبياء أوضحوا الطريق وأرشدوا إليه ونحن لا نعرفه؛ هم يعرفونه فهم أطباء يعرفون سبيل السلامة وأوضحوه وأرشدوا إليه ، فإن أردتم السلام فعليكم أن تسلكوه ، عليكم أن تقللوا شيئاً فشيئاً من التوجه والإهتمام بالنفس؛ وبالطبع فمثل هذه المهمة لا يمكن إنجازها بسرعة ولكن عليكم التحرر شيئاً فشيئاً ، جميع آمالنا هذه ستقبر وتنتهي ، جميع أشكال الإهتمام بالنفس ستنتهي وبالإضرار بنا ، والذي يبقى هو

المتعلق بالله (وما عند الله : - ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ﴾ (١) .

لدى الإنسان « ما عندكم » ، وللإنسان « ما عند الله » ، فما دام متوجهاً مهتماً بالنفس فهو من جنس « ما عندكم » وكله سيفنى وينتهي ، ولكن المتعلق بالله فهو باق بإسمه لا ينفد .

* جاهدوا للإنتصار على النفس .

جاهدوا ولنجاهد من أجل الخروج من هذه الحالة التي تحيط بنا وبكم ، أولئك الذين كانوا ينتصرون على الكفار لم يكونوا يهتموا لتعداد أعدائهم مهما كثر؛ ذاك الذي كان يعلن أنه لو اجتمعت العرب عليه لما تراجع إنما كان يقول ذلك لأن القضية قضية الله وما دامت كذلك فلا هزيمة فيها ولا تراجع .

أولئك الذين كانوا يجاهدون وينتصرون ، كانوا يتقدمون دون الالتفات الى أنفسهم وطموحاتهم ، هؤلاء كانوا قد قاموا بمجاهدة النفس الى حدٍّ ما ، وأولئك كانوا في مراتب عالية - وكل حسب مرتبته - ، وما لم يقوموا بذاك الجهاد لما تحقق لهم ذاك الإنتصار ، فما لم يعرض الإنسان عن آمال نفسه وعن الدنيا لا يمكن أن يتقدم .

والدنيا هي آمال الإنسان ، فدنيا كل إنسان آماله ، فالدنيا الخارجية ما هي من الدنيا المكذوبة وكذلك حال عالم الطبيعة ، الدنيا هي هذه التي عندكم ، فأنتم عندما تلتفتون الى أنفسكم فأنتم « دنيا » ، دنيا كل شخص هي الموجودة في نفسه وهي المكذوبة ؛ أما الشمس والقمر والطبيعة فليست مكذوبة بل مُدحت فهي مظاهر الله ، لكن الذي يُبعد الإنسان عن

(١) سورة النحل الآية ٩٦ .

ساحة القدس والكمال فهي تلك الدنيا المكذوبة وهي داخل الإنسان نفسه
(التوجه الى النفس) .

أسأل الله التوفيق لأن نخرج من هذه البئر الظلمانية العميقة ونتبع
أولياء الله فهم قد تخلصوا من هذه المهلكة وخرجوا منها؛ و « أدركهم
الموت » ، والسلام .

ختام الدرس الثاني من دروس الامام الخميني - قدس سره - في
التفسير ١١ / صفر / ١٤٠٠

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ الحمد لله رب العالمين .
كان الحديث فيما تقدم حول الإسم في البسمة وبماذا يتعلق ،
حيث عرضنا لذلك عدة احتمالات .

* العلاقة بين الحق والخلق .

والأساس في فهم بعض هذه القضايا هو أن يعرف الإنسان طبيعة
العلاقة بين الحق والخلق وكيف تكون ؛ نحن نفهم الأمر بصورةٍ بيغاويةٍ ،
والأكثر بواسطة البرهان (حيث أن ما هو أسمى من البرهان هو لأشخاصٍ
آخرين) .

العلاقة بين الموجودات والحق تعالى هي ليست على نحو العلاقة
بين موجودٍ وموجودٍ آخر ، كالعلاقة بين الأب والابن أو بالعكس ، فهذه
علاقة بين موجودٍ مستقلٍ وآخر مستقلٍ أيضاً ، علاقة بين ذوي بصيرةٍ
متساوية .

كما أن العلاقة بين الموجودات والحق تعالى ليست على نحو علاقة

شعاع الشمس بالشمس - رغم أن الربط فيها أسمى من النموذج السابق - لأن لشعاع الشمس أيضاً غيرية عن الشمس ، فهي كذلك علاقة موجودٍ بموجودٍ آخر ؛ كما أنها ليست كعلاقة قوى النفس المجردة بالنفس ، إذ أن لربط القوة الباصرة والقوة السامعة بالنفس نحواً من المغايرة والكثرة أيضاً .

نعم لا يمكن تصنيف علاقة الموجودات بمبدأ الوجود الحق تعالى ضمن أيِّ نحوٍ من أنواع الربط التي ذكرتها .

لقد وردت في الكتاب والسنة تعابير عن معنى الربط الموجود عملياً على نحو الإفادة ، فقد ورد التعبير عنه بالتجلي كقوله تعالى ﴿ تجلّى ربه للجبل جعله ﴾^(١) ، او كالذي ورد في دعاء « السمات » : « وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكاً »^(٢) ، ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾^(٣) ملك الموت هو الذي يتوفى الأنفس ولكن التعبير القرآني جاء بـ « الله يتوفى . . . » ونفس التعبير ورد فيما يتعلق بالإنسان الذي يقتل شخصاً : قتله ، ولكن : - ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ ، « ما رميت ورميت » « رميت وما رميت » ، هذا هو تجلي وهذا هو نور ، ولو أدركنا هذا المعنى بالبرهان أو بصورةٍ بيغاوية عندها تتضح بعض القضايا في هذه الآيات الكريمة .

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٢) دعاء السمات المروي عن الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه ، مفاتيح الجنان ص ٧٣ وفي النص إشارة الى الآية المتقدمة .

(٣) سورة الزمر الآية ٤٢ .

* معاني الحمد .

في الإحتمال الأول الذي ذكرناه حيث أن الحمد هو جميع المحامد متكثرٌ ملحوظٌ بنحو الكثرة ، يكون الإسم كذلك ملحوظاً بطور الكثرة ، وعلى ذاك الإحتمال فإن كلَّ حمدٍ يقع لا يقع للحق تعالى لأن الحمد يقع للتجليات وهي ظهوره - تعالى - ، ظهور فوق ظهور الشمس في الشعاع ، وظهور النفس في السمع والبصر .

فالحمد يقع للمظاهر ، ولكن هذه هي أسماء متكررة للحق تعالى ، لذا فالحمد له - تعالى - في نفس الوقت .

وعلى الإحتمال الثاني قلنا ، أن الحمد يكون حمداً مطلقاً وعليه يكون الأمر عكس ما في الإحتمال الأول فلا يقع له - تعالى - أيَّ حمدٍ من حامد؛ وهنا أيضاً فالتجليات هي مظاهر ظهوره وعليه ، فرغم أن الحمد يقع لهذه المظاهر لكنَّ الحمد المطلق لا يصدر منّا لذا فلا يقع للمطلق - تعالى - .

ولكن من باب أن جميع هذه الكثرات مضمحلة في ذلك الوجود المطلق ، يقع له الحمد أيضاً؛ فالأمر يختلف بلحاظ النظر للكثرة والنظر للوحدة .

بلحاظ الكثرة - حسب الإحتمال الثاني - لا يقع أي حمدٌ للوجود المطلق ، ولكن وبلحاظ اضمحلال الكثرات في الوحدة تكون جميع المحامد له أيضاً . وحسب هذين الإحتمالين يختلف معنى الآية الشريفة بين أولها وآخرها ، فوفق كون أن الحمد إستغراقي فيشمل كل حمد ، ويكون الإسم اسماءً متكاثرة تشمل كلَّ موجود ، فكل موجود إسمٌ ، وعليه تكون أسماء الله ، الرحمن الرحيم ، الواقعة في البسمة بمعنى بالله

والرحمن الرحيم .

وحسب الإحتمال الآخر يختلف الأمر ، فالإسم إسمٌ ظاهر ، وكل إسمٍ يختلف عن الإسم الآخر ومرتبة الكثرة هي ملاحظة مرتبة الكثرة ، وفي ملاحظة مراتب الكثرة ، يكون « الله » هو وصف هذا الإسم ، فالإسم إسم « الله » ، ولكن في مقام الكثرات وفي مقام التفصيل يكون « الله » هنا تجلياً للحق تعالى بالإسم الأعظم .

* تجليات الإسم الأعظم .

التجلي في الموجودات هو بالإسم الأعظم ، أما الرحمن فهو التجلي بالرحمانية في مقام الفعل وهكذا بالنسبة للرحيم ، ورب العالمين كذلك مع « إياك نعبد » وبنفس الصورة أيضاً يكون إختلافه عن الحال مع الإحتمال الآخر .

في الإحتمال الثاني وحيث يكرر ، « الحمد » حمداً مطلقاً دون أي قيد ، يختلف إسم الله ، الرحمن ، الرحيم ، والى آخر السورة ، فالإسم هنا هو جميع الموجودات كل موجود هو إسم في كل عمل ، ومعنى الإسم يختلف فيه مع العمل الآخر ، هنا وحيث يكون الحمد مطلقاً ، يكون مطلقاً باسم « الله الرحمن الرحيم » .

والحمد المطلق هو الله ، الحمد المطلق يكون بالإسم الذي هو إسم ظهور مقام الذات ، أي في مقام أسماء الله ؛ في مقام الذات ، يكون « الله » إسماً جامعاً لمقام الذات لا مقام الظهور ، والإسم هو تجلي تلك نفسها ، وكذا الرحمن فهو تجلي رحمانية مقام الذات والرحيم رحيمية مقام الذات ، وهكذا الحال مع « الرب » .

وهناك بالطبع براهين إستدلالية على ذلك ، مدونة في

الفلسفة - المقصود الفلسفة العالية لا المتعارفة - ، ولكن كل ذلك غير الذي وصله الأولياء فقدم الأولياء عبرت بالسلوك المنازل وأدركوا المسألة وشاهدوها ، ولكنهم لا يستطيعون أن يبينوا مشاهداتهم للناس .

* نزول القرآن وتنزله .

والقرآن أيضاً نزل وتنزل حتى وصل الى مخاطبة هؤلاء الأسرى في حُفرة الضلالة ، النبي الأكرم (ص) أيضاً لا يستطيع أيضاً بيان الحقيقة الواقعية للناس الا بأن ينزلها أيضاً . من هنا كانت للقرآن مراتب ، سبعة بطون أو سبعون تنزل عبر هذه البطون حتى وصل الى درجة مخاطبتنا نحن ، وأن يعرف الله نفسه بالإبل : ﴿ أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ﴾^(١) .

وهذا من بواعث الأسف أن يتنزل الى الشمس والسماء والارض ونفس الانسان ، هناك عقدة في لسان الأنبياء وفي قلوبهم : ﴿ رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني ﴾^(٢) . فلم يستطيعوا بيان ما شاهدوه - بالسريرة التي أدركوه - لم يكن مما يُقال ، ولذلك عمدوا الى الأمثال والنظائر من أجل أن يفهمونا شيئاً ، عندما يعرف الله نفسه لنا بالإبل تتضح المرتبة التي نحن فيها ، مرتبة نفس الحيوان ، كما تتضح طبيعة المعرفة التي نحصل عليها عن هذا الطريق ، معرفة هي غاية في النقص مقارنة بتلك التي ورد ذكرها فيما يتعلق بالأنبياء : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ﴾^(٣) ، فبعدها خضع لربوبية

(١) سورة الغاشية الآية ١٧ .

(٢) سورة طه الآيات ٢٥ - ٢٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

الحق تعالى وعبر هذه المنازل خاطب موسى ربّه قائلاً: ﴿ أرني أنظر إليك ﴾^(٤) ، طلب منه الرؤية ، ومعلوم أن طلب الرؤية بالعين لا يمكن أن يصدر من نبيّ عظيم ، بل المطلوبة هي الرؤية المتناسبة مع المرئي والرائي ، وهذه الرؤية لا نصلها نحن ، فموسى يطلبها بعد أن وصل الى مرتبة « كلم الله » ، فيتكلم مع ربه قائلاً: ﴿ ربّ أرني أنظر إليك ﴾ ، فيأتيه الجواب: ﴿ لن تراني ﴾ ، يعني - على نحو الاحتمال - لا يمكن أن تكون هناك « رؤية » ما دمت موسى ، ما دمت « أنت » لكنه لم يجعله يرجع آيساً ، بل حوله الى: ﴿ أنظر الى الجبل ﴾ ، ما هو هذا الجبل الذي يقع عليه تجلي الحق في حين لا يقع لموسى؟! ، انه جبل طور؟! وهذا التجلي ، هل كان بإمكان أهل ذلك العصر أن يروه لو كانوا في جبل طور؟! كانت تلك هي الشمس ﴿ فلما تجلّى ربه للجبل ﴾ ، أما ﴿ ولكن أنظر الى الجبل ﴾^(١) ففيها موعدٌ للقاء ، لن تراني: ﴿ ولكن أنظر الى الجبل فإن إستقر مكانه فسوف تراني ﴾^(٢) ، قد يكون معنى « إستقر » هنا هو أن هذا الجبل أصبح « دكاً » ، فيحتمل أن يكون معنى الجبل هو « أنانية » موسى التي كانت هناك بقايا منها لدى موسى آنذاك ، وبنفس ذاك التجلي شتت تلك البقايا من الأنانية فوصل موسى الى مقام « الموت »: ﴿ خرّ موسى صعباً ﴾ .

كل ذلك هو بالنسبة لنا قصة؛ فالذي أدرك أولئك بقدّم الشهود هو قصة بالنسبة لنا فنحن نعيش في هذه الظلمات فلقد حدثونا عن ذاك الجبل وجبل طور .

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

* معنى التجلي لموسى (ع) .

ذاك التجلي - يبدو في نظرنا - بأنه كان سوراً رآه موسى من جبل الطور ، والآخرون كانوا يرونه أيضاً ؛ فهل كان نوراً حسيّاً لكي يراه الجميع ؟! ، كان جبرائيل الأمين يقرأ القرآن لرسول الله فهل كان الذين كانوا عنده كانوا يسمعون ؟! بالنسبة لنا الأمر شجي أصله غير موجود ونحن غافلون عنه ونسمع من بعيد بالأمر .

حال الأنبياء كحال ذاك الإنسان الذي رأى رؤيا وشاهد لكنّ وفي لسانه عقدة عن البيان ومن حوله طرشان جميعاً ، فهم لا يقدرّون على البيان ونحن عاجزون عن الإستماع ؛ وقالوا ولكن ليس لنا!! فنحن نفهم القضايا التي يمكن لإدراكنا فهمها ، في القرآن تبيان كل شيء ، فيه أحكام شرعية ، وله ظاهر ، وفيه قصص لا نستطيع أن نفهم لبابها ، ما نفهمه هو ظواهرها ، والظواهر هي للجميع ، لكن هناك شيئاً آخر ينتفع منه الجميع ، أما الانتفاع الذي يجب أن يتحقق فهو إنتفاع : - « إنما يعرف القرآن من خوطب به »^(١) ، وإستناداً لهذا النص ، فهذا الإنتفاع مختصّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والآخرون محرومون منه الا بتعليمه ، والأولياء أيضاً بتعليمه ؛ ولكن رغم هذه المنزلة فانه : - ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾^(٢) ، فهو - القرآن - قد نزل وتنزل أيضاً بيد الروح

(١) لتوضيح هذا المطلب ومعنى الحقيقة القرآنية وكيفية تنزيلها تراجع إفاضات العارف الكامل المولى الشيخ الشاه آبادي - أستاذ الإمام الخميني في العرفان - وقد أورد تحقيقات عرفانيه دقيقة حول هذا الموضوع في كتابه « رشحات البخار » ص ١٢ - ٣٤ طبعة طهران المذيلة بالترجمة الفارسية للمتن العربي .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٩٣ - ١٩٤ .

الأمين ، لكن رسول الله في مقام التنزل وذاك النزول كان بحيث يتلقى منه مباشرة : - ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ ^(١) ، ففي ليلة القدر نزل جميعاً ، يعني أنه تجلّى بنفس ذاك التجلي في ليلة القدر ، ولكن في مقام التنزل فالأعلى الروح الأمين .

يعني أن ما كان يرد على قلبه يجب أن ينتزل مراتب من هذا البطن الى ذاك البطن ومن هذا الحد الى ذاك حتى يصل الى الحد الذي يظهر على صورة ألفاظ .

* حقيقة القرآن

القرآن ليس ألفاظاً ، ليس من مقولة السمع والبصر ولا من مقولة الألفاظ ولا الأعراض ، ولكن أنزل إلى الدرجة التي نستطيع نحن الصم العمي أن ننتفع به أيضاً ، أما حال أولئك الذين ينتفعون منه بتلك الصور العليا ، فهو حال آخر ووضعهم التربوي وضع آخر ، وكيفية تلقيهم من القرآن هي على نحو آخر غير الموجود هنا ، فالفرق ما بينهما كالفرق بين عالم الطبيعة وعالم الجسم وعالم الظاهر مقارنة بمراتب الغيب إلى ما شاء الله حتى يصل إلى مرتبة التجلي الأول ، فتجلي الحق تعالى هو الذي يظهر من عالم الغيب ويتنزل حتى يصل إلى عالم الطبيعة ، وهو نفس الفرق بين إدراكاتنا وبين ما فوقنا وما فوق هؤلاء وما فوق حتى يصل إلى مرتبة خاصة أولياء الله والأنبياء الذين هم في مرتبة ذلك التجلي الذي حصل لموسى (عليه السلام) : « بنور وجهك الذي تجليت للجبل » وهناك حيث يقول : « فلما تجلى ربه للجبل » ، وحيث ورد في دعاء السمات :

(١) سورة القدر الآية ١

- « بنور وجهك الذي تجليت للجبل » ، وهناك أيضاً يقول : - « يا موسى إني أنا الله » هنا تجلى للشجرة فكان « إني أنا الله » ، وهناك تجلى للجبل فكان : - « بنور وجهك الذي تجليت للجبل » ، جميع تلك صحيحة ، وكل منها تامة في مقامها .

* معرفة القرآن

إذا أردنا أن نتعلم القرآن فماذا نفعل ؟! هذه القضايا ليست للمتعلمين بذاك المعنى من التعليم والتعلم ، عندما ننظر إلى القرآن وإلى تفاسيره نجد أنها نفس هذه التفاسير المتعارفة ، ونجد في بعضها إشارات إلى هذه المعاني لكن على نفس هذا النحو من التعليم والتعلم للصُم والعمي .

القرآن فيه تبيان كل شيء ولكن الذي يدركه هو : - « إنما يعرف القرآن من خوطب به » ، ما هو القرآن الذي لا يعرفه سوى من خوطب به ؟ معلوم أنها مرتبة القرآن الذي : - « نزل به الروح الأمين » ، ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ و« نزل على قلبه » ، ففضية هذه المرتبة لا يمكن لأحدٍ غيره (صلى الله عليه وآله) إدراكها ومشاهدتها ، فالفضية هنا ليست قضية إدراك عقلي ولا قضية برهانية ، بل هي قضية مشاهدة ومشاهدة غيبية ، مشاهدة ليست بالعين ولا بالنفس ولا العقل ولا القلب ، المشاهدة كانت لذلك القلب الذي هو قلب العالم ، قلب نبي ، هو وصل وأدرك « إنما يعرف القرآن من خوطب به » ، هو أدرك وشاهد ولكنه لا يستطيع أن يوضح ذلك إلا في شكل الأمثلة والألفاظ ، فكيف تستطيعون أن تفهموا الأعمى ما هي الشمس وما هو النور ؟! بأي لسان وبأي قول ، غير أن النور هو الشيء الذي يُضيء ، ولكن الذي لم ير النور كيف يمكن تفهيمه معناه ؟! ، هذه العقدة هي التي في اللسان وطرفها في الأذن ، وهذه هي

العقدة التي كانت في ألسنة الأنبياء .

* محنة الرسول الأكرم (ص)

عقدة النبي الأكرم أشدّ من الجميع ، فإلى مَنْ يتحدث عن النبي شاهده وما نزل عليه من القرآن ، سوى لمن وصل إلى مقام الولاية التامة ؟! ولعل أحد معاني حديث : « ما أؤذي نبي مثل ما أؤذيت » ، - لو صحت نسبته إلى رسول الله - هو في الأذى الناتج عن عدم قدرة الإنسان على إيصال ما يجب إيصاله ، أذى ذلك الذي لا ينبغي له أن يخبر عزيزه بالذي شاهده وهو أسمى من كل ما شاهده الجميع وأدركوه ، ما أشدّ أذى ذلك الوالد الذي يريد أن يشاهد ولده الشمس ولكنّ ولده ضريّر ، يريد أن يوضح له هذا النور ولكن كيف ؟! هل يتحقق ما يريد من خلال عناوين جميعها مجهولة لا غير ؟! : - « العلم هو الحجاب الأكبر » ، حجاب كبير هو هذا العلم الذي يشغل الإنسان بهذه المفاهيم العامة والعقلية ويصدره عن السبيل ، حجاب للأولياء ، وكلما زاد إزداد الحجاب غلظة : الإنسان وبهذا العلم الذي لديه يتوهم أن العالم أجمع هو هذا لا غير ، فالإنسان انانيّ معجبٌ بنفسه ما لم يخرج من هذا الغطاء .

* « الإحتكار » العلمي

جميع الكمالات يحصرها الإنسان بالعلم الذي توصل إليه وأدركه ، فالفقيه يتصور أن لا شيء غير الفقه في العالم ، والعارف يتصور أن لا شيء غير العرفان والفيلسوف يتصور أن لا شيء غير الفلسفة ، والمهندس يتصور أن لا شيء سوى الهندسة ، فلعلهم يعتبرون العلم عبارة عما عرفوه بالمشاهدة والتجربة وأمثال ذلك . إذ يقولون أن هذا هو العلم وغيره ليس بعلم ، وهذا حجاب كبير ، هناك حجبٌ كثيرةٌ تلفنا جميعاً ولكنّ أكبرها

هو حجاب العلم هذا .

لأنه هو الذي ينبغي أن يرشد الإنسان إلى الطريق وإلى الهداية فإذا به يصدّه عن الطريق ويمنعه الهداية ، وهذا هو حال العلوم الرسمية جميعاً فهي تحجب الإنسان عما ينبغي أن يصل إليه ، وتؤلّد لديه العجب ، فعندما يدخل العلم قلباً غير مهذب يجرّ صاحبه إلى الخلف ، وكلما زاد خزينه زادت مصائبه .

مهما نثرت من بذور في الأرض الملحية فلن تحصل على ثمرة ، وهذا هو حال القلب المحجوب غير المهذب ، القلب الذي يخاف من إسم الله ، البعض ومثلما يخافون من الأفعى يخشون المسائل الفلسفية رغم أن الفلسفة هي أيضاً من العلوم الرسمية ، الفيلسوف أيضاً يخاف - بنفس الصورة - من العرفان ، وهكذا حال العارف لما فوقه ، والجميع هي علومٌ رسمية وكلها « قيل وقال » .

* علم التوحيد قد يصدّ عن التوحيد

لا أدري إلى متى نبقى على هذه الحالة ، يجب كحدّ أدنى أن نهذب أنفسنا بحيث لا تكون هذه العلوم الرسمية مانعةً لنا عن الله وذكر الله ، وهذه مسألة مهمة ، أن لا يصبح الإشتغال بالعلم سبباً للغفلة عن الله ، وأن لا يتحول إلى عاملٍ لبعث الغرور فينا فيبعدنا عن مبدأ الكمال .

هذا الغرور موجودٌ لدى العلماء بمختلف الاختصاصات ، سواء العلوم المادية والطبيعية أو العلوم الشرعية أو العلوم العقلية ، فما لم يكن القلب مهذباً ظهر الغرور الذي يصدّ الإنسان بصورة كاملة عن الله . عندما ينهمك بالمطالعة يغرق فيها وعندما يقوم للصلاة ، يؤديها ولكن ليس هو مع

الصلاة ، فماذا يعني هذا ؟! كان أحد أصدقائي - رحمه الله - يقول :
 - « لا أتذكر الآن إتركني إلى أن أقوم للصلاة لكي أتذكر »!! ، كأن
 الإنسان عندما يؤدي الصلاة فهو ليس في الصلاة أصلاً ، لا يتوجه إلى الله
 وقلبه ليس مع الصلاة بل في مكانٍ آخر ، قد يفكر أيضاً بكيفية حل مسألة
 علمية ، من ذاك العلم الذي هو مقدمة للوصول للغاية والمقصود فإذا به
 يصدّ الإنسان عن الغاية والمقصود ، هذا الأمر يصدق على العلوم
 الشرعية ، علم التفسير وعلم التوحيد ، فالقلب إذا لم يكن مستعداً مهذباً
 يتحول فيه حتى علم التوحيد إلى غلٍّ وقيدٍ يصدّ الإنسان .

* الوسيلة والغاية

العلوم الشرعية جميعاً وسائل ، المسائل الشرعية جميعها وسائل
 للعمل والعمل أيضاً وسيلة ، جميعها وسائل الوصول للمقصد والغاية ،
 وسائل لإيقاظ النفس ولكي تخرج من هذه الحجب الظلمانية ، هذه
 الحجب التي تجعلنا في ظلمات ، تخرج من هذه الظلمات لتصل إلى
 الحجب النورانية ، ويبدو أن هناك تعبير ورد في وصفها هو أن هناك
 « سبعين ألف حجاب من نور ومن ظلمة » ،^(١) وحتى تلك النورية فهي
 حجبٌ أيضاً ، ونحن لم نخرج حتى من الحجب الظلمانية ، لازلنا نتقلقل
 في أطباقها ولا ندري ماذا ستكون العاقبة .

(١) راجع بحار الأنوار (ج ٢ ، ص ٣٩٥) : حيث أورد حديثاً عن « رسول
 الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال : « لا ينبغي حجب ربي دخلت سبعين ألف
 حجاب بين دل حجاب إلى حجاب من حجب العزة والقدرة والبهاء والكرامة
 والكبرياء والعظمة والنور والظلمة والوقار والكمال . . . » ، والنص مأخوذ من
 حديث المعراج .

* للعلم آثار سيئة أيضاً

العلم لم يؤثر في نفوسنا سوى بالتأثير السيء ، هذه العلوم وتلك ، الشرعية والعقلية التي سماها المساكين بـ «الذهنيات» ، أي التي لا عينية لها ، هي وسائل للوصول إلى المقصد والغاية ، ولكن كلاً منها يصدنا عن المقصد ، فلا يعود علماً بل حجاباً ظلمانياً وهذا هو واقع كل علم يحجز الإنسان عن الوصول إلى المقصد ، وعن تحقيق ما بُعث الأنبياء من أجله ، فبعثة الأنبياء هي من أجل إخراج الناس من هذه الدنيا ومن هذه الظلمات وإيصالهم إلى مبدأ النور ، لا الأنوار ، لا أن في هذه الجهة ظلمات وفي تلك نور ، النور المطلق ، الأنبياء جاؤوا من أجل إيصال الناس إلى الفناء في النور المطلق وأن تفتى هذه القطرة في البحر (وبالطبع المثال ليس منطيقاً) .

لأجل هذه الغاية كانت بعثة جميع الأنبياء ، وكافة العلوم هي وسيلة العينية هي لذلك النور ونحز عدم ، أصلنا من هناك ، والعينية هي لذاك المبدأ ، جميع الأنبياء جاؤوا لإخراجنا من هذه الظلمات وإيصالنا إلى النور لا الأنوار ، يخرجوننا من الحجب الظلمانية والنورانية ويجعلوننا نتصل بالنور المطلق .

أحياناً يكون علم التوحيد حجاباً ، يقيمُ برهاناً على وجود الحق تعالى لكنه نفسه محجوب ، نفس برهانه يبعده عن الذي يجب أن يصله ، لم يكن منهج الأنبياء والأولياء بهذه الصورة البرهانية كانوا يعرفون البراهين ، ولكن القضية ليست إثبات الواجب - تعالى - بالبرهان .

يقول سيد الشهداء (عليه السلام) : - « متى غبت »^(١) !؟ ،
ويقول : - « عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً »^(٢) وهي عمياء بالفعل .

* القيام « الله » أولاً

المرتبة الأولى القيام : - ﴿ قل إنما أعظكم بواحدةٍ أن تقوموا
لله ﴾^(٣) ، وقد إعتبر أصحاب السير هذا القيام المنزل الأول ولعله ليس
منزلاً بل مقدمة ، إعتبره صاحب « منازل السائرين »^(٤) المنزل الأول ،
ولكن من الممكن أن يكون مقدمة والمنزل الذي يليه هو المنزل الأول .

ما في الآية وصية وموعظة من موجود عرف نفسه ، يقول له : - قل
لهم : - ﴿ إنما أعظكم بواحدة ﴾ ، موعظة واحدة هي : - « أن تقوموا »
و« لله » ، ومن هنا تبدأ كافة القضايا ، القيام لله ، أن ينهض الإنسان لله من
هذه النومة ، قل لأولئك النائمين الذين سقطوا هنا فاقدى الوعي : - لي
عندكم موعظة واحدة هي أن تقوموا من مكانكم لله ، ومن إجله إسلخوا
الطريق ، ونحن لم نصغي بعد لهذه الموعظة الواحدة ولم نسلك الطريق
من أجله ، فطريقنا يؤدي إلينا ، حتى حال أولئك الجيدين جداً هو هذا
الحال : نعم هناك طائفة من الأولياء هم على نحو آخر .

هذه الموعظة موجهة لنا نحن النائمون أما أولئك فقد وصلوا هم في
العلی وسيجرونا إلى هناك ، لا أحد يستطيع القول بأننا هنا الآن ،

(٢١) من دعائه (عليه السلام) في يوم عرفة راجع مفاتيح الجنان المعرب
(ص ٢٧٢) .

(٣) سورة سبأ ، الآية ٤٦ .

(٤) من تصنيف الخواجة الشيخ المولى عبد الله الأنصاري وعليه شرح للمولى عبد
الرزاق الكاشاني .

فالموكلون المهيمنون على جميع قوانا يأخذوننا ، هذه القوى تجرنا إلى ذلك الإتجاه ، فمنذ البداية وحيث نحن في الطبيعة هم يقودوننا إلى مكان آخر وسنذهب ، ولكن مع الظلمات والحجب ذاهبون .

* مصدر الفتن

حب الدنيا هو المنبع : - « حب الدنيا رأس كل خطيئة »^(١) ، وقد يوصل الإنسان الموحد - أحياناً - إلى نوع من البغض والسخط على الله تعالى عندما يتصور أنه تعالى قد سلبه شيئاً يحبه ، وقد قيل أنّ الإنسان عندما يشرف على الرحيل إلى العالم الآخر ، يأتيه شياطين لا يريدون له أن يرحل عن هذه الدنيا موحداً فيأتونه بالأشياء التي يحبها ، طالب العلوم الدينية مثلاً يأتونه بكتابه الذي يحبه ويقولون له أرجع عن عقائدك وإلا أحرقنا هذا الكتاب ، ونفس الأمر مع مَنْ كان حبه للولد أو أي شيء آخر .

* المعيار في التعلق

لا تتصوروا أن أهل الدنيا هم الذين يمتلكون الحقائق والبساتين ، فقد يكون هناك من يمتلك الكثير منها لكنه ليس من أهل الدنيا ، وقد يكون هناك طالباً لعلوم الدين له كتابٌ واحدٌ وهو من أهل الدنيا ، الميزان هو التعلق والإرتباط ، تعلق الإنسان بالأشياء ، وهذا التعلق قد يؤدي إلى إيجاد العداوة لله في قلب الإنسان عندما يرى أنه راحل عن هذا العالم حيث تنقطع صلته بالأشياء التي تعلق بها ، فيصبح لذلك معادياً لله .

عليكم أن تقللوا من شدة هذا التعلق بمختلف أشكاله ، فنحن على

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء (ج ٥ ، ص ٣٥٣) كتاب ذم الدنيا ، والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، وقد تقدم ذكر مصادر أخرى له .

كل حال راحلون عن هذه الدنيا سواء أحببنا شيئاً وتعلقنا به أم لا ، فلا فرق .

سواء تعلقتم بهذا الكتاب أو هذا المنزل أم لم تتعلقوا ، فهما لكم تنتفعون منهما على كل حال ، فقللوا التعلق بهما ، فأنتم تستطيعون أن تقطعوا هذا التعلق ، فهو الذي يجلب على الإنسان المصائب وهو من حب النفس ، حب الدنيا وحب الرئاسة وهو المرض المهلك للإنسان .

حب المنصب وحب المسجد وغير ذلك هي جميعاً من الدنيا ، وهي من التعلقات الدنيوية ، وهي حجب بعضها فوق بعض ، كراماً ومراراً ما نقعد ونقول ، هؤلاء لديهم كذا وكذا وأولئك لديهم كذا وكذا - وهم أسرى التعلقات الدنيوية - ولكن دققوا النظر في أنفسكم ولاحظوا كيف حالكم أنتم ، ما هي شدة تعلقكم بما لديكم ، قارنوها بقوة تعلق من تعيينون عليه تعلقه .

* سر إنتقاص الآخرين

لولا حب النفس والأنانية لما عاب الإنسان على الآخرين ، فحالة تقصي معائب الآخرين الموجودة لدى بعضنا ناشئة عن أننا نعتبر أنفسنا غاية في التهذيب والسلامة والآخرين ذوي عيوب فنعترض عليهم بسببها ، وذلك بسبب حب النفس الذي نرى بسببه أننا كاملون .

في تلك المقطوعة الشعرية - لا أريد أن أقرأها - ، ورد أن أحدهم عاب على آخر عيباً فأجابته : - أنا كما قلت ولكن هل يا ترى أنت كما هو ظاهرك ؟ ! .

نحن نستعرض « مظاهر » للناس ، من قبيل أننا جئنا إلى هنا لطلب

العلم ودراسة الشريعة وأنا من جند الله وأطلقنا إسم « جند الله » على أنفسنا ، فهل نحن حقيقة كما تبدو مظاهرها ؟! هذا هو الحد الأدنى أما أن يكون الباطن شيئاً والظاهر شيئاً آخر فهل هذا غير النفاق ؟! فالنفاق ليس فقط أن يظهر الانسان التدين وما هو بمتدين كأبي سفيان ، فما تقدم نفاقاً أيضاً ، نفاق هو أن يظهر الإنسان شيئاً سامياً وهو على خلافه وهو بذلك من المنافقين ، والفرق هو في المرتبة .

وعلى أي حالٍ فالعاقبة هي الرحيل عن هذه الدنيا ، ولا يُقال أن أولئك يدعون إلى الآخرة إلى هناك وهنا هي الدنيا ، فهم - الأنبياء - وإن كانت دعواتهم جميعاً إلى الآخرة فقد كانوا يروجون للعدالة هنا .

* المرتبة العليا : دوام الحضور

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : ورغم أنه موجود إلهي ، يُنسب إليه قوله : - « ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة »^(١) ، نفس معاشرة هؤلاء الأشخاص - كانت تؤدي إلى كدورة ما ، فالذي يجب أن يكون دائم الحضور عند محبوبه يرى في مجيء شخص - وإن كان صالحاً للغاية - سائلاً عن مسألة ، مانعاً له - بهذا المقدار - عن تلك المرتبة التي يريدها وإن كان نفس ذلك هو حضور ، فالإنسان الذي يحادثه هو في عينه من المظاهر ولكن رغم ذلك يمنعه - بمقدار - عن تلك المرتبة التي يريدها وهي مرتبة دائم الحضور : - « ليغان على قلبي وإني

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء (ج٧ ، ص١٧) كتاب التوبة وقريب منه ما في صحيح مسلم (ج٨ ، ص٧٢) « كما جاء في هامش المحجة » ، هناك في المصدر إضافة « الليلة » والغين هو الغيم ، وغينت السماء إذا أطبق عليها الغيم .

لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة » ، مثل هذا منقول عن النبي الأكرم .
الإشتغال بمثل هذه المسائل بالنسبة لنا حجابٌ يجب أن نخرج
منه ، ولو - كحدّ أدنى - بمقدار أن نكون حقاً مثلما ما نُظهر لا أن نكون
خلافاً لظاهرنا ، لو كانت على جباهنا آثار السجود و كان ظاهرنا أننا نعمل
لله فكحدّ أدنى يجب أن لا نرائي في الصلاة ، ولو كنا نُظهر أنفسنا ورعين
جداً فلنتورع عن أكل الربا والإحتيال على الآخرين وهكذا .

* المعنويات والحركة

أولئك الذين تصوروا أن هذه العلوم المعنوية تحجز الناس عن
الحركة والنشاط هم على إشتباه .

ذات الإنسان الذي كان يُعلّم الناس العلوم المعنوية هذه ، والذي
لم يكن له نظير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معرفة الحقائق ،
هذا الإنسان وفي نفس اليوم الذي بايعوه بالخلافة ، حملَ فأسه وذهب إلى
عمله في الزراعة - كما ينقل لنا التاريخ - .

أولئك الذين - ويدافع من توهماتهم - يحذرون الناس من الدعاء
والذكر وما ماثل ، لكي يلتصقوا بالدنيا ، هؤلاء لا يدرون ما الأمر ، لا
يعرفون أن نفس هذا الدعاء والأذكار هي التي تجعل الإنسان يتعامل مع
الدنيا بالصورة المطلوبة ، الذين أقاموا العدل في الدنيا هم هؤلاء الأنبياء
الذين كانوا أهل الذكر والفكر وكل شيء ، وهم الذين ثاروا ضد الظلمة ،
وهذا نهج الأولياء أيضاً ، الإمام الحسين بن علي (سلام الله عليه) قام
بتلك الثورة ، وهو نفسه الذي ترون دعاءه في يوم عرفة كيف هو .

* الدعاء والتحرك النهضوي

هذه الأدعية هي مصدر أمثال هذه النهضة ، وهذه الادعية هي التي توجه الإنسان للمبدأ الغيبي لو أحسن قراءتها ، ونفس هذا التوجه يؤدي إلى تقليل تعلق وحب الإنسان لنفسه ، وهذا لا يمنع الإنسان عن الحركة والنشاط ، كلا ، بل على العكس هو يولد حركةً ونشاطاً أيضاً لدى الإنسان ولكن ليس من أجل نفسه ، بل إنه يدرك أنه يجب أن يتحرك وينشط من أجل خدمة عباد الله ، فهي خدمة لله .

أولئك المنتقدون لكتب الأدعية إنما يفعلون ذلك لكونهم جهلة مساكين لا يعرفون كيف أن كتب الأدعية هذه تصنع الإنسان ، فأى إنسان عظيم - تصنعه الأدعية الواردة عن أئمتنا ، كالمناجاة الشعبانية ودعاء كميل ، ودعاء الإمام سيد الشهداء (سلام الله عليه) يوم عرفة ، دعاء السمات . . .

إن الذي يقرأ المناجاة الشعبانية هو نفسه الذي يشهر السيف أيضاً هذه المناجاة كان يقرأها جميع الأئمة ، ولم أرَ فيما يتعلق بسائر الأدعية الأخرى مثل هذا الوصف - قراءة جميع الأئمة لها - ، والذي يقرأها يشهر السيف ويجاهد الكفار .

هذه الأدعية تخرج الإنسان من هذه الظلمات وعندما يخرج منهما يصبح عاملاً في سبيل الله ، مقاتلاً في سبيل الله ، قائماً لله .

الأدعية لا تحجز الإنسان عن الحركة والعمل كما يدعي أولئك قاصرين آمالهم على هذه الدنيا معتبرين كل ما وراءها من « الذهنيات » لكنهم سيصلون إلى حيث يرون أن هذه الذهنيات هي « العينية » وما كانوا يرونه عينياً هو الذهنيات .

هذه الأدعية والخطب ونهج البلاغة ومفاتيح الجنان وسائر كتب الأدعية ، هي التي تعين الإنسان ليصبح إنساناً .

* كل الأعمال لله

وعندما يصبح الإنسان إنساناً يقوم بجميع تلك الأعمال ، يزرع ولكن لله ، ويقاقل لله ، أولئك الذين قاموا بأعباء كل تلك الحروب ضد الكفار والظالمين هم قراء الأدعية . أكثر أولئك الذين كانوا في ركاب الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) كان نفسه يقوم للصلاة في خضم اشتداد حمى القتال ، يقاتل ويصلي ، وفي اشتداد القتال قام خطيباً متحدثاً عن التوحيد عندما سأله أحدهم عن التوحيد ، وعندما إعترض آخر بأن الوقت غير مناسب لمثل هذا ، أجاب (عليه السلام) : - «دعوه فإنّ الذي يريده الاعرابي نريده من القوم»^(١) .

فالحرب هنا ليست للدنيا : عليّ لم يحارب معاوية لكي يتسلط على الشام ، الرسول الاكرم والإمام علي لم يكن هدفهم العراق والشام ، بل هدف أن يكون الإنسان فيها إنساناً ، أن ينقذوا أهلها من سلطة المستكبرين ، هؤلاء هم أصحاب الأدعية ، الإمام علي الذي كان يقرأ «دعاء كميل» هو نفسه المقاتل الشجاع .

(١) راجع كتاب « النواذر في جميع الأحاديث » (ص ٤٣) طبعة قم والكتاب للمولى الفيض الكاشاني وهو مستدركه على شرحه « الوافي » لأصول الكافي ، والحديث ينقله عن توحيد الصدوق .

* تأثير الدعاء في النفوس

الذين يبعدون الناس عن الأدعية - كما فعل يوماً الخبيث « كسروي » حيث دعا إلى يوم لحرق كتب العرفان وكتب الأدعية . . ، هؤلاء لا يعرفون ما الدعاء وما هي طبيعة تأثيره في النفوس ، لا يفقهون أن جميع هذه الخيرات والبركات هي من قراء نفس هذه الأدعية ، حتى الذين يقرأونها - بكيفية ضعيفة - ويرددون ذكر « الله » ولو بصورة ببغاوية ، فإنهم يتأثرون بها وهم خير من تاركها .

المصلي - ولو وفق أدنى مراتب إقامة الصلاة - هو خير من تاركها ، وأكثر تهدياً ، فهو لا يسرق ، راجعوا ملفات الجرائم ولا حظوا نسبة مرتكبيها من طلبة العلوم الدينية ونسبة غيرهم ، من مرتكبي جرائم السرقة وشرب الخمر وغيرها .

هناك في هذه الطائفة - المعممين - من تسلل إليها ولا شك لكن هؤلاء ليسوا لا من أهل الصلاة ولا غيرها ، تستروا بهذا الظاهر لإستغلاله فقط ، أما أهل الدعاء والعاملون بشعائر الإسلام فليست لهم ملفات جنائية مقارنة بالآخرين وإن كان هناك من شيء فهو قليل جداً .

* الفصل بين القرآن والدعاء والحديث

للدعاء وأمثاله دخل وتأثير في نظم هذا العالم ، فلا ينبغي أن يختفي الدعاء من أوساط المجتمع ، لا ينبغي لشبابنا أن يعزفوا عن الدعاء ، وليس من الصحيح الدعوة للعزوف عن الدعاء تحت شعار الدعوة لعودة القرآن ، فهذا يعني تضييع الطريق إلى القرآن ، هذه من الوسواس الشيطانية ، فالشيطان يدعو إلى ترك الدعاء والحديث لفصح المجال للقرآن

يقول يجب أخذ القرآن والإعراض عن الحديث!! وأمثال هؤلاء لا يستطيعون الأخذ بالقرآن ، هؤلاء الذين يقولون لنترك الدعاء ولنقرأ القرآن لا يستطيعون الأخذ بالقرآن ، فهذه من وساوس الشيطان التي تخدع الإنسان ، وهي من الأقوال التي تخدع الشباب .

على هؤلاء الشباب أن يلاحظوا هل أن الذين كانوا من أهل الحديث والذكر والدعاء خدموا المجتمع أكثر أم الذين لم يكونوا من أهل ذلك وكانوا يزعمون « نحن أهل القرآن »؟! ، جميع هذه الخيرات والمبرات التي ترونها وجميع هذه الأوقاف المخصصة لمطلق الأمور الخيرية ولإعانة الضعفاء هي من عمل هؤلاء المؤمنين من أهل الذكر والدعاء والصلاة ، لا من غيرهم .

حتى الأعيان الأثرياء الذين بنوا - فيما مضى - المدارس والمصحات وأمثال ذلك ، إنما كانوا من أهل الصلاة ، وهذا الأمر لا ينبغي أن يغيب عن أذهان الناس بل على العكس يجب ترسيخه ، يجب جعل الناس متوجهين لله تعالى .

* الدعاء والوصول للكمال

وإذا تجاوزنا كل هذه الأمور ، فإن الأدعية تعين الإنسان على الوصول إلى الكمال المطلق ، وهي تعين على إدارة وتسيير أمور البلاد ، ومرة تكون المعونة بي لإناء القبض على السارق وأخرى تكون بأن الإنسان نفسه لا يسرق ، وأهل المسجد والدعاء لا يعتدون وهذا بحد ذاته معونة للمجتمع عندما يكون نصف أفراده مثلاً يجتنون المعاصي لإشتغالهم بالدعاء والذكر وأمثال ذلك .

فمثلاً الكاسب يزاوّل نفسه دون معصية ولا سرقة ، أما قطاع الصرق

والقتلة فهم ولا شك ليسوا من أهل الصلاة والدعاء ولو كانوا من أهلها لما كانوا قتلة وقطاع طرق .

بهذه الأدعية وبهذه الأمور الواردة عن الله ورسوله تتم تربية المجتمع ، إن كنتم تقرأون القرآن فهو يمدح الدعاء ويدعو الناس له : ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾^(١) ، إذن فالذين يدعون إلى ترك الدعاء والأخذ بالقرآن ، يرفضون القرآن أيضاً : ﴿ إدعوني أستجب لكم ﴾^(٢) .

أسأل الله أن يجعلنا من أهل الدعاء وأهل الذكر وأهل القرآن ، بمشيئته تعالى .

ختم الدرس الثالث من دروس التفسير للإمام الخميني - أعلى الله مقامه - .

(١) سورة الفرقان ، الآية ٧٧

(٢) سورة غافر ، آية .

الدرس الرابع

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

« باء » البسمة ليست سببية

يُستفاد من الأحاديث السابقة أنّ « الباء » في البسمة ليست الباء السببية - بالمعنى الذي يقوله أهل الأدب - ، فالموضوع أصلاً ليس من باب السببية والمسببية بل وإن في الحديث عن فاعلية الحق ، لا محل للعلة والمعلولية ، وأفضل تعبير عنه هو ما ورد في القرآن الكريم ، فمرة ورد التعبير بالتجلي : « تجلى ربه . . . » وأخرى بالظهور : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ، وهذه غير قضية السببية والمسببية فهنا تمايل لا يقتضي وجوده في ذات الحق تعالى مع الموجودات ، لذا يجب أن نحمل السببية على معنى موسع لكي تشمل قضية التجلي وقضية الظهور أو أن نقول أن « الباء » ليست بباء السببية ، و« به » كذا وباسم الله كذا بظهوره ، وكذلك مع تجليه ، وكذا بالحمد بسم الله أو تجلي الله ، لا من باب أن الحمد مسبب للإسم ، ولا أتذكر أنه ورد في الكتاب أو السنة التعبير بالسببية أو العلية فهذه مصطلحات فلسفية وردت على لسان

الفلاسفة ، أما في القرآن والسنة فلم يرد التعبير بالسببية عن هذا المعنى - على ما أتذكر - بل وردت فيهما تعبيرات عنه بالخلق والظهور والتجلي .

قضية حديث النقطة تحت الباء

وهناك جنبه أخرى وفيها حديث شريف ، وهي قضية النقطة تحت الباء ، وبالنسبة للحديث ومدى صحته ، وهل أنه وارد أم لا ؟! لعل الشواهد تدل على عدم صحة وروده ، والحديث منسوب إلى الإمام علي (سلام الله عليه) أنه قال : - « أنا نقطة تحت الباء »^(١) ولو صح فتأويله هو أنّ الباء هي بمعنى الظهور المطلق ، والتعین الأول عبارة عن مقام الولاية فلو صحت نسبة هذا القول للأمير فيكون مقصوده (عليه السلام) هو أن مقام الولاية - بالمعنى الحقيقي للولاية أي الولاية العامة - هو التعین الأول .

* الولاية الأحمدية والعلوية

الإسم هو التجلي المطلق ، والتعین الأول له هو تعین الولاية الأحمدية والعلوية وحتى لو لم يرد هذا المعنى فالقضية هي على هذا المعنى ، فهناك تجلي مطلق يكون تعينه الأول هو المرتبة الأعلى للوجود وهي مرتبة الولاية المطلقة .

وهذا الإسم يكون مرةً لمقام الذات ، حيث إسمه الجامع هو « الله » والأسماء الأخرى ظهورٌ للرحيمية والرحمانية و ، وهي جميعها تجليات الإسم الأعظم .

(١) راجع « شرح فصوص الحكم » للقيصري (ص ٣٦) الورق (١٨) من المقدمة والحديث هو بداية خطبة .

« الله » هو الإسم الأعظم والتجلي الأول ، والأسماء منها ما هي في مقام الذات ومنها في مقام التجليات بالإسمية ، وهناك أيضاً أسماء التجلي الفعلي الذي يُقال لقسم منه مقام الأحد ، وللآخر مقام الواحدية وللثالث مقام المشيئة ومثل هذه المصطلحات ، ويحتمل أن تكون مقامات الأسماء الثلاثة هي المقصودة بالآيات الأخيرة من سورة الحشر ، حيث ذكرت في آياتها الثلاثة الأخيرة بثلاثة أشكال وهي : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ﴾ ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ . . .

فالإسم في مقام الذات يناسب الأسماء الواردة في الآية الأولى ، والإسم بالتجلي الصفاتي يناسب الصفات الواردة في الآية الثانية فيما التجلي الفعلي يناسب ما في الآية الثالثة : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ ، والتجلي الفعلي هو على ثلاثة أنماط ، تجلي الذات للذات ، والتجلي في مقام الأسماء والتجلي في مقام الظهور ، ولعل : ﴿ هو الأول والآخر ﴾ يعني وكأن الآخرين أصلاً هم نفيّاً منفياً ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ، فكل ظهور هو وليس منه ، هو الظاهر وهو الباطن وهو الأول وهو الآخر .

* لا فصل بين التجلي والمتجلي

هناك مراتب للتجليات ولكن ليس بحيث تكون مستقلةً عن المتجلي لا شك أن تصور الأمر صعبٌ ولكن تصديقه بعد ذلك يسير .

وقد يكون « الله » ، إسماً لهذا التجلي في مقام الصفات ، ولو كان كذلك يكون « إسم الله » ، « بسم الله » ، إسماً لظهور ذلك التجلي على

النحو الجمعي وهذا لا يتعارض مع كلا الإحتمالين الذين تحدثنا عنهما سابقاً بل يسجّم مع كليهما ، لأن هذه المسائل ليست على نحو الإستقلال ، وكافة هذه القضايا يجب أن نمررها على نحو النقص .

وهناك قضية أخرى ترتبط بجميع هذه القضايا والمباحث وهي ، أننا نعرف على الواقعيّات ، مرةً بالحواس التي لدينا ، وأخرى بما ينتزعه العقل ويدركه منها ، وثالثة بحسب مقام القلب وما يدركه منها ورابعةً في مقام الشهود وأمثال هذه المعاني .

وغاية ما تصله إدراكاتنا نحن هي المدركات العقلية إما بالقدم البرهانية أو ما يشبه الإستدلال ، فالواقعيّات حسب تصورنا هي التي نفهمها بمدركاتنا العقلية ولكن عندما نرتفع درجة عن هذه المدركات نفهم أن الواقعيّات هي الذات المقدسة وتجلياتها : وبأي نحو كان إدراكنا نجد هذا .

وواقع الأمر هو أن لا مقابل للحق تعالى ، أي ليس هناك موجود مقابل - مستقل عنه - بل إنّ مقابل الوجود المطلق لا معنى له أصلاً ، فالموجود هو الذات المقدسة وتجلياتها ، سواء التجلي في مقام الذات ، أو في مقام الصفات ، أو في مقابل الفعل ، ونفس الآيات التي نشير إليها أحياناً يمكن أن تكون شاهداً على أنّ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ، فواقع الأمر هو أن لا مقابل للحق تعالى ، مرةً نساءل - وبحسب إدراكنا - ما الذي أدركناه وما هو إدراكنا العقلي ؟! وهل أننا أوصلناه إلى القلب ليصبح إسمه إيماناً ؟! أو هل تحركنا بقدم السير ليكون إسمه عرفاناً ومعرفة ، إلى غاية ما يستطيع الإنسان الوصول إليه ؟!

وتلك هي قضية إدراكنا للواقعيّات على ما هي عليه ، ولكن الواقع

- عندما يحسب بحسب الواقع - فما من شيء سوى الحق تعالى ، كل ما هو موجود هو والتجلي هو تجليه ، ولا يمكننا أن نجد مثلاً منطبقاً و« ظلٌ وذو ظل » ناقصٌ أيضاً .

* الذات والتجليات والبحر والأمواج

ولعل أقرب الأمثلة الموضحة هو مثال موج البحر ، فالموج ليس خارجاً - مستقلاً - عن البحر ، بمعنى هناك موجٌ وهناك بحرٌ ، بل هناك موج البحر ، هذه الأمواج الحاصلة إنما هي البحر يتموج ، ولكن عندما ننظر إلى الأمر بحسب إدراكنا ، نرى بحرًا وأمواج البحر ، كأنه هناك بحرٌ وموجٌ ، ولكن الموج معنى عارض للبحر ، وحقيقة الأمر أن ليس هناك سوى البحر ، وموج البحر هو البحر ، وكذلك حال العالم ، فهو « موج » .

وبالطبع فهو مثال والحال هو مثلما قال القائل « حثوا التراب على مفرقي وعلى مثالي » ، فالأمر لا مثال له ، نحن عندما نريد أن نلج في هذه المسائل نطرح حسب إدراكنا تصورات عامة من قبيل إسم الذات ، وإسم الصفات وإسم الأفعال ، والمقام الفلاني وهكذا ، وهي نفسها مفاهيم في مفاهيم ، والإدراك إدراك مفهومي .

أما المرتبة الأخرى فهي أن ندرك ما وراء هذه المفاهيم ، نثبتُ برهانياً أنَّ الحقيقة هي هذه ، ولكن المنهج البرهاني عندما يستدل على أن الموجود هو الذات وتجلياتها ولا شيء غيرها ، يقول أن صرف الوجود والوجود المطلق هو الوجود الذي لا يقيد قيد ، و« أنت وجودنا المطلق » ، فلو كان له حدٌ أو نقص فما هو بوجود مطلق ، فالوجود المطلق ليس له أي تعيّن أو نقص ، وإذا كان كذلك فهو يشمل تمام الوجود ، ولكن « تمام »

هذه ناقصة أيضاً ، أي أنه لا يمكن أن يكون فاقداً لحيشة ما ، فجميع أوصافه هي مطلقة لا على نحو التعين ، لا رحمانية متعينة ولا رحيمية متعينة ولا الوهية متعينة .

* فقدان أي كمالٍ يؤدي إلى التعين

عندما يكون النور مطلقاً يصبح بلا تعين وبذلك يجب أن يكون جامعاً لكافة الكمالات ، لأنّ فقدان أيّ كمال يوجب « التعين » ، فلو كانت هناك نقطة نقصٍ واحدة في مقام الربوبية ، أو لم تكن هناك ولو نقطة وجود فقط - بل وما دون النقطة من العدم ، لخرج عن الإطلاق وأصبح ناقصاً ممكناً ولم يكن واجب الوجود فالواجب كمال مطلق وجمال مطلق .

من هنا فعندما نعتبر « الله » - وبحسب المنهج البرهاني الناقص - إسمًا للذات المطلقة ولها كافة التجليات ، فيجب أن يكون جامعاً لكافة الأسماء والصفات ، جامعاً لكافة الكمالات ، كمالاً مطلقاً دون أي تعين ، وهذا لا يمكن أن يكون فاقداً لأي شيءٍ وإلا لم يكن كمالاً مطلقاً بل كان « ممكناً » ، والممكن هو ناقص مهما كانت درجة الكمال التي يصلها ، فبمجرد خروجه عن مرتبة الإطلاق يدخل حدود الإمكان ، الوجود المطلق واجد لكل شيءٍ ، لكل الكمالات ، البرهان يقول : « صرف الوجود كل الأشياء وليس بشيءٍ منها »^(١) ، كل الأشياء لكن لا بالتعينات ، واجدٌ لكل وجود ولكن لا على نحو التعين بل على نحو الكمال المطلق .

(١) العبارة متكررة في معظم المتون الفلسفية خاصة مصنفات المولى صدر الدين الشيرازي ومن بعده ، راجع « الأسفار الأربعة » ، (ج ٦ ، ص ١١٢) وما بعدها .

وحيثما يكون هذا الكمال المطلق - عندما نحسب واقع الأمر - يكون في كل الأسماء فهذه ليست مستقلة بل هي نفس أسماء الذات غير منعزلة ، ونفس الخصوصيات الموجودة في إسم « الله » موجودة في « الرحمن » فيصبح هذا كمالاً مطلقاً ، والرحمة المطلقة واجدة لجميع الكمالات وإلا لما كانت مطلقة ، ﴿ إدعوا الله أو إدعوا الرحمن أيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾^(١) ، سواء « الله » أو « الرحمن » أو « الرحيم » وسائر الأسماء فـ ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ وهذه موجودة أيضاً في جميع صفات الحق تعالى ، ولكونها على نحو الإطلاق فلا حدود بين الإسم والمسمى وإسم وإسم آخر ، فهي ليست مثل الأسماء التي نطلقها على شيء ما بإعتبارات مختلفة .

عندما نقول « نور » و« ظهور » فلا يعني ذلك أنه من جهة نور ومن أخرى ظهور ، بل إن الظهور هو عين النور ، والنور أيضاً عين الظهور ، وبالطبع فهذا المثال ناقص أيضاً ، الوجود المطلق كمال مطلق في كل شيء مطلق ، جميع الأوصاف هي على الإطلاق بحيث لا يمكننا فرض أي شكل من الإستقلالية^(٢) .

* المشاهدة فوق البرهان والعمى

هذا بحسب القدم البرهانية ، وهذا ما يقوله البرهان ، يُقال أن أحد العارفين قد قال : - « إنني حيثما ذهبت جاء هذا الأعمى بعصاه » ، ومراده

(١) سورة الإسراء (بني إسرائيل) الآية ١١٠ .

(٢) يقول السهروردي مؤسس فلسفة الإشراق : - « صرف الوجود الذي لا أتم منه كلما فرضته ثانياً فإذا نظرت إليه فإذا هو هو » التوحيد العلمي والعيني (ص ١٣٩) .

هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، ومقصوده من هذا القول هو أن كل ما وجده ووصله أدركه برهانياً هذا الأعمى ولكن بعضا البرهان وصل إلى ما وصل إليه هذا العارف بقدّم العرفان والمشاهدة ، وعلى هذا التفسير قالوا أن مقصوده من الأعمى هو ابن سينا .

وأصحاب البرهان - كما يقول - نحن العمي ، فعندما لا تكون مشاهدة يعني أن هناك « عمى » ، فحتى بعد أن نبرهن إستدلالياً على التوحيد المطلق والوحدة المطلقة وأنّ مبدأ الوجود هو الكمال المطلق ، فالأمر برهان أيضاً ، والمحجوبية هي خلف جدار البرهان ، والمهم أن تصل - بالمجاهدة والسعي - حقيقة أن « صرف الوجود كل شيء » إلى القلب فيدركها ، وحال قلوبنا كحال الطفل الذي يجب أن تلقنه كلمة بعد أخرى ، وعلى الذي أدرك تلك الحقائق عقلياً أن يوصلها قلبه بطريقة التلقين كلمة كلمة بال تكرار والمجاهدة وأمثال ذلك .

فاذا وصلت هذه الحقائق إلى القلب ووعاها وأدرك أن « صرف الوجود كل الكمال » فهذا هو الإيمان ، الإيمان يتحقق عندما يصل إلى القلب هذا الإدراك العقلي والتصورات المفهومية التي أُقيم عليها البرهان ، وعندما يصل إلى القلب هذا المعنى القرآني البرهاني ويُقرأ بالقلب ما قرأه بالعقل ، وعندما يعلم القلب ذلك بال تكرار والرياضات والمجاهدات ، عندها يؤمن القلب بأنّ « ليس في الدار غيره ديار »^(١) ، ولكن هذه أيضاً هي مرتبة من الإيمان ، بل وحتى مرتبة ﴿ ليطمئن ﴾

(١) راجع (ص ١٤٧) من رسالة لب اللباب في سير وسلوك أولي الألباب (بالفارسية) وهي تقديرات السيد الطمراني لدروس استاذ العلامة الطباطبائي - قدس سره - في العرفان .

قلبي ﴿١﴾ هي غير تلك التي كانت للأنبياء ، فقد كانت لهم قدم المشاهدة وهي فوق ذلك ، لهم مشاهدة جمال الحق تعالى ﴿ تجلى ربه للجبل ﴾ تجلى لموسى الذي كانت له محطات ، ثلاثون ليلة في البداية ثم أصبحت أربعين وجاءت بعدها تلك الوقائع بعد أن رحل عن منزل شعيب « والد زوجته » وسار بأهله قال لهم : ﴿ إني آنست ناراً ﴾ ^(٢) ، هو أدرك هذه النار أما أهله فلم يروها أصلاً ، بعد ذلك ذهب إليها : ﴿ لعلني آتيكم منها بقبس ﴾ ^(٣) ، وعندما إقترب منها ، جاء النداء ﴿ إني أنا الله ﴾ ^(٤) ، هذا النداء جاء من نفس تلك النار التي كانت في الشجرة ، وقدم المشاهدة يعني أن موسى شاهد ما ذهب إليه ذاك الأعمى بالعصا وذاك العارف بالقلب .

هذه كأقوال نحسنُ التحدث بها نحن ، وأنتم تستمعون إليها بأذانكم ، ولكن الحقائق هي أسمى ، ﴿ إني أنا الله ﴾ ، والنور الذي كان في الشجرة ، هذا النور لم يكن يستطيع رؤيته سوى موسى (عليه السلام) ، مثلما هو الحال مع الوحي الذي كان ينزل على رسول الله (ص) ، فمن ذاك الذي كان يستطيع أن يفهم ما هو هذا الوحي ؟! وما هو أصله ؟! ، والقرآن الذي نزل على قلب رسول الله دفعةً واحدةً جميعه ، ما هو ؟! فلو كان هو هذا القرآن ذي الثلاثين جزءً فنزوله دفعةً واحدة على قلب عادي أمرٌ محال .

(٢) إشارة إلى قصة دافع إبراهيم (عليه السلام) من ربه مشاهدة إحياء الموتى وتقطيع الطير وإحيائه المذكورة في القرآن .

(٣) سورة طه مقاطع من الآية ١٠ .

(٢و١) سورة طه مقاطع من الآية ١٠ والآية ١٤ .

القلبُ بابٌ أخرى ، والقرآن حقيقة وهي تردُّ إلى القلب ، القرآن سرٌّ ، وسرُّ السر ، وسرٌّ مستسرٌّ بسرٍّ ، وسرٌّ مقنع بسرٍّ ، ويجب أن يتنزل وينزل إلى الإسفل ويتنزل حتى يصل إلى هذه المراتب النازلة ، وحتى وروده على قلب رسول الله كان تنزلاً ، تنزّل حتى دخل القلب ، ومن هناك يجب أن يتنزل أيضاً إلى أن يصل إلى حيث يفهمه الآخرون أيضاً ، وهكذا حال الإنسان ، فهو أيضاً سرٌّ وسرٌّ وسرٍّ ، نحن نرى من الإنسان هذا الشيء الموجود ، حيوانٌ ، هذا الحيوان الموجود ولا غير ، بل وهو حيوانٌ أسوأ من سائر الحيوانات ، ولكن له خصوصية هي إمكانية وصوله إلى الإنسانية وإلى مراتب الكمال والكمال المطلق حتى إلى حيث لا تصل أوهامنا ، ثم ينعدم .

* ما ندركه هي الأعراض

كل ذلك سرٌّ وأسرار ، والظاهر هو هذا ، وفي عالم الطبيعة هذا أيضاً سرٌّ ، هناك مسألة وهي أنكم لا تستطيعون فهم ماهية الأجسام ، ولا نحن نستطيع ذلك ، ولا نستطيع إدراك « الجواهر » ، وكل ما ندركه هو « الأعراض » ، عيوننا ترى الألوان وما شابه ، آذاننا تسمع الصوت ، وحاسة الذوق تدرك الطعم ، وحاسة اللمس تدرك الظواهر ، ولحل ذلك أعراض ، وعندما يريدون تعريف جسمٍ ما يقولون أنه الشيء الذي له عرض وعمق وطول وهذه هي من الأعراض أيضاً .

الذي له جاذبية فمن الأعراض ، إذ كل ما تريدون تعريفه به أوصاف الأعراض ، إذن فأين هو الجسم ؟! الجسمُ أيضاً هو سرٌّ إذن ، الظل هو سرٌّ ، فظل نفس الأحذية هو الأسماء والصفات أيّاً كانت ، فالمعلوم لنا هو الأسماء والصفات أما نفس العالم فهو غيب ، أسماءُهُ وصفاتُهُ ظاهرة ولكنه

نفسه غيب ، ولعل إحدى مراتب « الغيب والشهادة » هو أنّ لعالم الطبيعة أيضاً غيبٌ وشهادة ، فغيبه ما غاب عنا فلا نستطيع أن ندركه بحال إذ أنّ أي شيء تريدون تعريفه إنما تعرفونه بالأوصاف والأسماء والآثار وما شابه ، فأَيّ سبيل لتعريفكم له غير هذه ؟!

ناقصٌ هو إدراك الإنسان لظل السر المطلق ، إلا إدراك مَنْ وصل بقدم الولاية إلى حيث يدخل قلبه تجلي الحق تعالى بكافة أبعاده ، وهذا السر موجودٌ في كل شيء ، أي أنّ الغيب والشهادة يسريان في كل مكان .

* سعة عالم الغيب

في وقتٍ ما كان يُقال أن عالم الغيب هو - مثلاً - عالم ملائكة الله ، عالم العقول ونظائر هذا التفسير ، ولكن لنفس هذه العوالم سرّاً وظاهراً ، ظهوراً وبطوناً ، وهذا نفسه في : « هو الظاهر والباطن » ، فهناك بطونٌ في نفس الشيء الذي ظهر فيه ، وفي نفس هذا البطون ظهور ، وعلى هذا فإن جميع أسماء الحق تعالى واجدة لجميع مراتب الوجود ، فكل إسم هو جميع الأسماء ، فالأمر ليس أن الرحمن صفةٌ واحدة أو إسماً واحداً ، والرحيم إسم مقابل وكذا الحال مع المنتقم ، فهذه لو كانت من الأسماء فجميعها حاوية لكل شيء : - ﴿ أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ فجميع الأسماء الحسنى موجودة في الرحمن وموجودة في القيوم وفي الرحيم ، وليس الحال أن أحدها يحكي شيئاً ما والآخر يحكي عن شيء آخر ، فذلك يعني أنّ يكون الرحمن حاكياً لحيثية ما موجودة في ذات الحق تعالى ، وغيره يكون حاكياً لحيثية أخرى ، وبذلك تكون ذات الحق تعالى مجمعةً للحيثيات ، وهذا محالٌ في الوجود المطلق ، الوجود المطلق هو رحمن بوجوده المطلق ، ورحيمٌ بوجوده المطلق ، رحمنٌ بتمام

الذات ، ورحيم بتمام الذات ، ونور بتمام الذات ، و« الله » بتمام الذات ، فلا تكون رحيمته شيئاً ورحمانيته شيئاً آخر .

أولئك الذين يسمون علواً بقدّم المعرفة حتى يصلون إلى حيث تتجلى الذات بتمام التجليات ، وبالطبع ليس الذات بل على نحو التجلي في قلوبهم ، وقلوبهم ليست من هذه القلوب ، بل القلب الذي يدخله القرآن ، القلب الذي فيه مبدأ الوحي القلب الذي يتخذه جبرائيل منزلاً ، في هذا القلب تتجلى الذات بذاك التجلي الجامع لكافة التجليات وهو نفسه الأسم الأعظم والمتجلي بتجلي الإسم الأعظم ، والأسم الأعظم هو نفسه : - « نحن الأسماء الحسنی »^(١) .

الإسم الأعظم هو نفس رسول الله ، وهو أعظم الأسماء في مقام التجلي .

* وجوداتنا تجليات

وعلى ما تقدم ، فالذي جرى الحديث عنه الليلة : هو أولاً قضية السببية فيجب أن لا نعتبرها في موضوع الحديث مثل سائر أشكال السببية ولا يمكننا أن نشبهها بمثالٍ ما إلا على بعض الأمثلة البعيدة ، هذا أولاً وثانياً أن حديث نقطة الباء لو صحت نسبته - يعني ما أوضحت تأويله آنفاً ، وثالثاً أن الإسم هو بمراتب إسم الذات ، فإسم في مقام الصفات ، وإسم في مقام التجلي الفعلي ، تجلي الذات على الذات ، وتجلي الذات على الصفات وتجلي الذات على الموجودات وليس التجلي على الموجودات ، تجلي نقول إذا أردنا تفسيره أن وجوداتنا هي تجلي ، نور متكثر في المرايا

(١) تقدم ذكر مصدره .

(والمثال هنا بعيد أيضاً) ، وأما إذا وضعتم هنا مائة مرآة ينعكس فيها هذا النور أو نور الشمس ، فستقولون بإعتبار واحد مائة نور ، النور نور المرآة ، ونور المرآة هو نفس ذلك النور إلا أنه محدود ، مائة لكنها نفس هذا النور ، نفس تجلي الشمس هذا ، فنور الشمس يظهر في مائة مرآة ، والمثال كما قلت بعيد .

* التعين لازمة التجلي

تجلي الحق تعالى موجود في هذه التعينات ، ولكن ذلك لا يعني أن هناك تعيناً ونوراً ، بل إن النور عندما يتجلي فيكون التعين لازمه ، وعليه يكون الإسم في ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هو إسم مقام الذات ، وإسم « الله » هو ظهور الذات بجميع التجليات ، إسم نفس هذا الظهور والتجلي الجامع وكذلك الرحمن والرحيم فهي ظهورات لهذا التجلي الجامع أيضاً ، لا بمعنى أن رحمانه شيء ورحيمه شيء آخر ، بل إعتبروا أن الله ، والرحمن والرحيم هي ثلاثة أسماء لشيء واحد ، كلها تجلي واحد لجميع الذات ، فالله تجلي بتمام الذات وكذا الرحمن وكذا الرحيم ، وغير ذلك محال وإلا كان محدوداً ممكناً .

وعلى أساس ذاك الذي تحدثنا عنه حول أن التعلق هو بالحمد ، يكون أيضاً الإسم الإلهي الجامع للظهور « الله » حاوياً للرحمن والرحيم بذاته ، فتقع له جميع المحامد أو الحمد المطلق (على ضوء الإحتمالين المذكورين سابقاً) ، كما نعتبر الإسم ، والله ، تجلياً جامعاً في مقام الصفات ، الإسم هو التجلي الجامع في مقام الصفات ، تلك المشيئة المطلقة التي يقع بها كل شيء ، وبإسم « الله » نعتبر « الله » تجلياً جامعاً في مقام الفعل ، إسمه نفس الحقيقة في مقام الظهور كوصف الله بالرحمن

والرحيم وكل واحدٍ من هذه الأسماء يكون الكلام فيه على نمطٍ خاصٍ
عندما ننظر إليه في الآية الكريمة .

وإلى هنا نكون قد تحدثنا عن إسم « الله » هو الاسم الجامع ومقام
الذات ومقام الصفات ومقام التجلي بالفعل ، في الآية الكريمة وتحدثنا
عن الإسم وعن « الله » وعن الباء في البسملة وعن نقطتها ، وهناك فيما
يتعلق بالرحمن والرحيم ، مسائل يجب أن نمر عليها بصورةٍ مختصرةٍ
سريعة ، والرجاء أن نصدق بوجودها ، فبعض القلوب منكرة من
الأساس ، وبعض الأشخاص ينكرون كافة قضايا المعارف ، فالذي في
المنزل الحيواني لا يستطيع أن يصدق أن هناك شيئاً وراء هذا المقام
الحيواني .

* عدم الإنكار هو الخطوة الأولى

يجب أن نصدق بتلك الحقائق ، والخطوة الأولى للإنسان الذي
يريد أن يحدث تحركاً في نفسه هي عدم الإنكار ، لا ينبغي للإنسان أن
ينكر كل ما لا يعلمه ويبدو أن الشيخ الرئيس ابن سينا هو صاحب القول بأن
المنكر لشيءٍ دون برهان خارج عن فطرة الإنسان ، فمثلما أن إثبات شيءٍ
ما يحتاج إلى برهان كذلك الحال مع النفي فهو يفتقر إلى برهانٍ أيضاً ،
فمرةً تقول لا أعلم وأخرى تنفي ، هناك أشخاصٌ قلوبهم فيها جحود ،
فهي مُنكرة تنكر كل شيءٍ لكونها لا تستطيع فهمه ، وأصحابها يخرجون
بهذا الجحود عن الفطرة الإنسانية ، فالإنسان يجب أن يكون قبوله لفكرةٍ
ما مستند إلى برهان وكذلك نفيه لها عن برهان ودليل ، فإن لم يكن لديه
برهان على النفي أو الأثبات فعليه أن يقول : لا أعلم ، أو : قد تكون
الفكرة صحيحة ، كل ما تسمعه إحتمل صحته « كل ما قرع سمعك ذره في

بقعة الإيمان «»، فقد يكون صحيحاً أو غير صحيح فلماذا الإنكار؟!

إن علمنا لا يصل إلى ما وراء هذا العالم ، وما توصلنا له من هذا العالم فهو ناقصٌ أيضاً ، فلا زالت المجاهيل كثيرة ، وإلى ما قبل قرن من الزمان كانت هناك الكثير من المجهولات التي أصبحت اليوم معلومة ، وستتضح مستقبلاً غيرها .

فإذا كنا لم نستطع أن نفهم هذا العالم ولم يستطع الإنسان أن يعرفه فما هو مبرر إنكاره لما عند الأولياء؟! ، هذا القلب قلب « إنكاري » محرومٌ كلياً من دخول الحقائق والأنوار إليه ، ولهذا فالذي لا يعلم يُنكر ولا يقول : لا أعلم ، فيصف ما يقوله أهل المعرفة بأنه نسيج أوهام ، وسر قوله ذلك هو كونه محرومٌ إذ أن ما يصفه بأنه « نسيج أوهام » موجود في القرآن والسنة فلماذا ينكره الإنسان؟! .

* إنكار المجهول نمطٌ من الكفر

هذا الإنكار هو مرتبة من مراتب الكفر - ليس الكفر الشرعي - مرتبة من الكفران ، فأحدى مراتب الكفر أن ينكر الإنسان ما يجهله ، وجميع مصائب الإنسان ناشئة من هنا ، من لجوئه إلى جحود سلسلة من الحقائق الواقعية لكونه لا يستطيع أن يدركها ، من جحوده لما لدى أولياء الله لكونه لا يستطيع الوصول إليه .

هذا الكفر الجحودي هو من أسوأ أقسام الكفر ، والقدم الأولى لحركة الإنسان هي أن لا يجحد الحقائق الواقعية الموجودة في الكتاب والسنة ، والتي يقول بها الأولياء ، وكذلك العرفاء والفلاسفة حسب سعة إدراكهم ، فعلى الإنسان أن لا يجزم بعدم ما لا يدركه ، جحودٌ هو ولا ريب قلبٌ ذلك « الرُّجِيل » الذي يريد وضع الله تحت سكاكين التشريح

ويقول : « لن يؤمن بالله ما لم أشرحه بهذه السكين التي أشحذها » .

الخطوة الأولى هي أن لا ننكر ما قاله الأنبياء والأولياء ، فلو أنكروا لن نستطيع أن نخطو الخطوة الثانية ، فالإنكار يمنع الإنسان من الحركة ، والمنكر لوجود شيء لا يراه ، لن يستطيع متابعة السير ، فعلى من يريد التحرك للخروج من هذه الظلمات أن يحتمل صحة تلك الأقوال ولا ينكرها وإلا بقي خلف جدار الإنكار إلى النهاية ، عليه أن يسأل الله أن يفتح له باباً للسير ، فهو فتاح الأبواب ، عليه أن يسأل الله أن يفتح له سبيل الوصول إلى ما يجب عليه الوصول إليه .

* الله لا يخيب من سألَه

فاذا إجتنب الإنكار وسأل الله أن يفتح له سبيلاً ، تفتح له بعض السبل ولن يخيبه الله ، ورجائي أن نخرج نحن من دائرة الإنكار ، فلا ننكر ما ورد في القرآن والسنة ونحن ندعي الاعتقاد بهما ، ما لا يدركه عقله من القرآن والسنة لا ينكره فيهما مباشرة ولكن إذا صدر بلسان إنساني لشخص آخر يستفرد بهذا المسكين ويصف قوله بأنه « هرطقة » ولا يقول أنه هو الذي لا يعلم .

ومثل هذا الإنكار يحرم الإنسان من الكثير من الحقائق ، فهو يصدّه عن السبيل الذي يجب للإنسان أن يسلكه ويمنعه من دخول هذا السبيل أصلاً .

إنني أخطب الجميع أن إحتملوا الصحة فيما وصل إليه الأولياء ، قد لا يقول صراحة بين الناس بإحتمال الصحة هذا ولكن المهم أن لا ينكر هذه الحقائق أصلاً ويقول إنها هرطقة ، فمثل هذا المنكر لا يفلح بعد ذلك بسلوك الطريق أبداً ، فإن أراد الفلاح في السلوك فعليه أن يستأصل

البحرود من قلبه ويزيل هذه العقبة من طريقه .

أرجوا أن نفلح في إستئصال حجاب البحرود من قلوبنا ونسأل الله تبارك وتعالى أن يعرفنا لغة القرآن - هي لغة خاصة - نسأل الله أن يوفقنا للتعرف على اللغة التي نزل بها القرآن .

* القرآن مائدة عامة

القرآن يشبه الإنسان في كونه موجود لديه كل شيء - والمقصود هنا هو الإنسان الإنسان بالفعل - ، القرآن مائدة أعدها الله لجميع البشر ، سفرة واسعة يتناول منها كل إنسان حسب رغبته ما لم يكن مريضاً ينعدم عنده الإشتهاء ، الأمراض القلبية تعدم في الإنسان الرغبة في الأكل ، فإذا كان الإنسان غير مريضٍ وكانت له رغبة داخلية إنتفع من القرآن الذي تتسع سفرته للجميع ، مثلما هو حال الدنيا فهي كسفرةٍ كبيرةٍ ينتفع هذا من فاكهتها وذاك من علفها وهكذا ، الإنسان ينتفع منها بطريقةٍ ما والحيوان بطريقةٍ أخرى ، والإنسان في مقام الحيوانية بطريقةٍ معينة ، وكلما سمي أكثر إنتفع أكثر من هذه السفرة الإلهية وهي عبارة عن الوجود ، ونفس الأمر يصدق على القرآن فهو سفرة عامرة تسع الجميع وكلٌ ينتفع منها قدر رغبته وعبر السبيل الذي وجده ، والدرجة العلمية الأعلى هي للذي نزل عليه ، « إنما يعرف القرآن منْ خوطب به » .

لكن لا ينبغي لنا اليأس والقنوط ، بل علينا الحصول على منافع من هذه السفرة وأولى هذه المنافع أن نطرد من أذهاننا وهم عدم وجود غير هذه القضايا الطبيعية وفكرة أن القرآن تنزل لإيضاح هذه القضايا الإجتماعية والطبيعية والحياة الدنيوية فقط ، ففي هذه الفكرة إنكار لجميع النبوات ، إن الغاية التي تنزل من أجلها القرآن هي صنع الإنسان وجعله « إنساناً »

وجميع تلك القضايا هي وسائل لتحقيق هذه الغاية .

كافة العبادات والأدعية هي وسيلة لإظهار « لباب » الإنسان ،
وتحويل ما لديه بالقوة - وهو لبّ الإنسان - إلى دائرة الفعل وبذلك يصبح
الإنسان بالقوة إنساناً بالفعل ، يصبح الإنسان الطبيعي إنساناً إلهياً بحيث
تكون كافة أبعاده إلهية ، فكل ما يراه هو الحق .

ولأجل هذه الغاية كانت بعثة الأنبياء ، فهم لم يأتوا للحكومة بذاتها
ولا لإدارة وتسيير الأمور الدنيوية ، فللحيوانات أيضاً دنيا يسيرون
شؤونها .

ومفهوماً أنّ إقامة العدالة الاجتماعية إنما تكون بأيدي الأنبياء
- وبحث موضوع العدالة هو بحث في صفة للحق تعالى عند أهل البصيرة -
كما أنهم يقيمون الحكومة العادلة أيضاً ، ولكن الغاية ليست كل ذلك بل
كل ذلك وسائل لإيصال الإنسان إلى المراتب السامية ، وهذه غاية بعثة
الأنبياء .

نسأل الله تعالى التأييد في أمورنا كافة .

ختام الدرس الرابع من دروس التفسير للإمام الخميني - أعلى الله
مقامه -

A decorative graphic consisting of two concentric circles. The inner circle is solid black, and the outer circle is a thin black line. The text is centered within the inner circle.

الدرس الخامس

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله رب العالمين .

قبل أن أتابع الحديث حول موضوع البحث ، يجب أن أبين نقطة قد تكون نافعة وضرورية وهي أن علة وقوع الاختلاف - أحياناً - بين أهل الرأي والعلم هي أنهم لا يعرفون لغة كل منهم ، فلكل طائفة منهم لغة خاصة بها .

ولا أدري هل سمعتم قصة مثل العنب بين أولئك الأصدقاء الثلاثة الذين كان أحدهم عربياً والآخر فارسياً والثالث تركياً ، فقد كانوا يتناقشون حول ما يعدونه من طعام لوجبة الغداء ، فقال الفارسي ليكن « أنكور » ، وقال العربي : كلا كلا ليكن طعامنا « عنباً » ، فأجاب التركي : لا نريد ذلك بل لنأكل « أوزوم »^(١) ، لقد وقع الاختلاف بين هؤلاء لكونهم لا يعرف أحدهم لغة الآخر وتكملة قصة المثل هي أن أحدهم ذهب وأتى

(١) الـ « أنكور، أوزوم » تعني العنب بالفارسية والتركية .

بالعنب فعرف الجميع أن مقصودهم واحد .

المقصود واحد وإن اختلفت الألسنة ، الفلاسفة لهم لغة خاصة ومصطلحات خاصة بهم ، وكذلك الحال مع كل طائفة ، وعلينا أن ننظر أيّاً من هذه الطوائف الثلاثة أو الأربعة المختلفة فيما بينها ، تكون لغتها أقرب إلى لغة أهل بيت العصمة ، وإلى لغة الوحي .

المقصود واحد ، ولا أظن أن هناك أيّ إنسانٍ عاقل موحد يخالف الاعتقاد بوجود الحق تعالى وكونه مبدأ جميع الموجودات وهي معلولة لمبدأ الوجود ، ولا أحد يقول بأنك بهذا القميص والسرّوال أنت الله ، وما من عاقل يتصور أن فلاناً بعمامته ولحيته وعصاه هو الله ، فهذا مخلوق ولا إشكال ولا شبهة في ذلك ، ولكن يقع الاختلاف في التعبير عن العلة والمعلول ، وعلينا أن نعرف ما هي طبيعة إهتمام طائفة العرفاء مثلاً ليكون تعبيرها عن الأمر بالصيغة الفلانية وما الذي دفعهم إلى هذا الشكل من التعبير ؟ ! .

* مصالحة بين الطوائف وأشكال التعبير

وأنا الآن وحيث أريد إقرار الصلح بين تلك الطوائف وأقول أن مقصودهم واحد ، فلا أقصد تنزيه كافة الفلاسفة أو كافة العرفاء أو كافة الفقهاء ، كلا القضية ليست هذه ، فـ« ربما تكون خرقة الزهد مستوجبة للنار »^(١) ، ولعل صاحب الدكان يطلق بعض الأقوال بما يناسب تسيير أمور دكانه ، إن ما أريد قوله هو أن هناك بين هذه الطوائف الكثير من

(١) تعريب جزء من بيت شعر بالفارسية للشاعر الإيراني الشهير حافظ الشيرازي وفيه يشير إلى عدم صدق وصفاء كل من الصوفية وإن بينهم من يستحق النار .

المنزهين والاختلاف الحاصل هو إختلاف مدرسيّ كالإختلاف الذي حصل في مدرسة بين الاصولي والإخباري والذي وصل حد أن ينعت الإخباري الإصولي بالكفر - أحياناً - فيما الاصولي ينعت الإخباري بالجهل ، رغم أن مقصودهما ليس إثنين مثلما أنهما أنفسهما ليسا « إثنين » .

على أي حال فحديثنا هو في إختلاف اللغة والمصطلحات ، فئة من الفلاسفة يستخدمون مصطلحات أمثال « علة العلل » و« المعلول الأول والثاني إلى آخره » و« العلية والمعلولية » ، و« السببية والمسببية » و« المبدأ والأثر » وأمثال هذه المصطلحات وهي مصطلحات جافة خاصة الواردة لدى فلاسفة قبل الإسلام .

الفقهاء أيضاً لا يحجمون عن إستخدام مصطلح العلية والمعلولية ، كما يستخدمون أيضاً مصطلح الخالق والمخلوق ولا بأس به أيضاً ، ولطائفة من أهل العرفان مصطلحات أخرى تختلف عن السابقات ، كمصطلحات « الظاهر والمظهر والتجلي » ونظائر ذلك ، فما هو سر إستخدامهم لأمثال هذه الأشكال من التعبير ؟! ولماذا نجدها هي بالذات الواردة في أحاديث أئمتنا (عليهم السلام) ، فلا أتذكر أبداً ورود مصطلحات العلية والمعلولية والسببية والمسببية وأمثالها في أحاديثهم (عليهم السلام) بل وردت استعمالات الخالقية والمخلوقية ، التجلي ، الظاهر والمظهر وأمثالها ، علينا أن نفكر في سر تجلي أهل العرفان عن مصطلحات الفلاسفة مثلاً أو عما يستخدمه عامة الناس ، ولماذا قالوا بمصطلحاتٍ أخرى رغم أنها سببت إثارة إشكالات أهل الظاهر ضدهم ، لنناقش الأمر :-

* إشكالية التعبير بالعلة والمعلول

في مفهوم العلة والمعلول يكون هناك موجودٌ هو العلة وموجودٌ آخر هو المعلول ، فهنا تكون العلة في جهة والمعلول في جهةٍ أخرى فماذا يعني هذا؟! إنه يعني أنهما مختلفين مكانياً ، مثل الشمس ونورها ، فللشمس نفس هذا النور ، ولكنه صادرٌ عنها ومظهر لها ، ولكن على نحو تكون الشمس فيه موجوداً في مكان معين ، والنور موجوداً آخرّاً في مكان آخر رغم أنه أثرها ومعلولها ، فهل هذه المعلولية والعلية نسبة إلى ذات واجب الوجود ، هي على غرار المعلولية والعلية في عالم الطبيعة؟! أي هل أنها مثل كون النار علة للحرارة والشمس علة للإنارة ، في حين الأثر هنا أثرٌ مستقلٌ حتى مكانياً عن العلة فلكل منهما مكان؟!

* إشكالية التعبير بالأثر والمؤثر

الأثر والمؤثر في الطبيعة غالباً ما يكونان منفصلان من جهة البعد المكاني ، فهل يمكن أن نقول بمثل هذا الفصل بالنسبة للمبدأ الأعلى عن الموجودات الأخرى في البعد المكاني والبعد الزماني؟! لقد قلتُ سابقاً أن من الصعب للغاية تصور طبيعة الحالة الوجودية للموجود المجرد ، خصوصاً مع المبدأ الأعلى حيث لا يمكنك التعبير بأي شيء عنه ، فكيف هي هذه الإحاطة القيومية من قبل الحق تعالى للموجودات؟! ما هي كيفية ما يقوله القرآن من أن ﴿ هو معكم أينما كنتم ﴾^(١) فهل أن المعية الآدمية هي من هذا القبيل؟!

(١) سورة الحديد الآية ٤ .

* الأقرب للواقع وليس الواقع

إن إختيار تعبيرات من أمثال « هو معكم » ، هو بسبب عدم القدرة على التعبير عن الواقع ، فاختاروا التعبير الأقرب في إيضاح الواقع ، مثلما أن الكتاب والسنة إستخدما التعبير الأقرب في إيضاح الواقع ، إذ لا يمكن فهمه ، تصور القضية أمر غاية في الصعوبة ، قضية المخلوق والخالق ، حسناً نحن مخلوقات الخالق ولكن ما هي وضعية البعد المكاني في هذه العلاقة وما هي كيفيتها؟! هل هي مثل كيفية النار مع أثرها ، والنفس وهذه العين والأذن وقوى الحواس؟! قد تكون هذه الأخيرة أقرب من البقية لواقع تلك العلاقة ولكنها أيضاً ليست هي .

الإحاطة هي إحاطة قيمية ولضيق الخناق - في التعبير - يجب القول أنّ الإحاطة القيمومية للحق تعالى تجاه جميع الموجودات هي بحيث أن لا مكان للموجودات إلّا وهو موجود : - « لو دليتم بحبل إلى الأرضيين السفلى لهبطتم إلى الله »^(١)

الذين عبّروا عن المعنى بهذا القول أو بقولهم أن الشيء الفلاني هو الحق تعالى ليس مرادهم أن هذا الإنسان الممكن الوجود ذي العباءة والعمامة هو الحق تعالى ، فما من عاقل يقول بذلك ، بل إنّ المراد هو التعبير الأقرب في تبيان القضية وطبيعة العلاقة بين الحق تعالى والمخلوق ، هدف هذا التعبير هو تقريب كيفية العلاقة إلى الأذهان ، ولكن يصل الأمر بالإنسان إلى الغفلة وعدم التوجه عن - ظواهر - هذه

(١) حديث مروي عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) راجع مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، تأليف الإمام الخميني (ص ٩٩) .

القضايا فيقول بأن الشيء الفلاني هو الحق تعالى وكل شيء هو ، ولكنه لا يريد أن يقول هذا هو الحق تعالى ، ولهذا ترون أن الفلاسفة الاسلاميين يقولون : - « صرف الأشياء كل الأشياء وليس بشيء منها »

ظاهر العبارة متناقض ، ولكنه المراد منها هو ، أن لا نقص في صرف الوجود وهو واجد لكل سنخ من الكمال فيما الموجودات كافة ناقصة ، إذن فـ « ليس بشيء منها » إذا كان المراد موجوداً آخر إذ يكون ناقصاً ، والموجود التام هو الذي لا نقصان فيه وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يكون فاقداً لأي كمال ، كل كمال وفي أي موجود كان إنما هو من رشحاته وتجليه وما دام من تجليه فهو موجود في الذات على نحو البساطة ، الذات كل الكمال .

« كل الأشياء » يعني « كل الكمال » ، و « ليس بشيء منها » يعني أن لا نقص فيه أصلاً ، وليس المراد من « صرف الوجود كل الأشياء » هو أن تكونوا أنتم صرف الوجود ، ولهذا تقول العبارة « ليس بشيء منها » المراد هو أنه تمام الكمال وحيث أن ما من موجود يكون تمام الكمال ، لذا فليس بشيء من الموجودات فعبروا عن هذه الحقيقة بتلك الصورة .

إحدى سبل تفسير تلك العبارة هي ما عمد إليه من لا إطلاع له على هذه القضايا فقال إن ما قالوه هو من باب أن « عديم اللون أسير اللون » ، في حين أن هذا الشعر لا يرتبط بهذا الموضوع أصلاً ولم يلتفتوا إلى عدم ارتباطه بواقع « الحقيقة » بل هو مرتبط بحالة النزاع التي تنشأ بين إثنيين فلم ينتبهوا إلى المقصود من هذا الشعر فقالوا إن ذاك كفر ، في حين أنه لا يرتبط بهذه القضية بل بقضية أخرى هي سر كل هذه الحروب والنزاعات التي تقع في العالم .

* دوافع النزاعات

لماذا تقع الحروب؟! وما هي دوافعها؟ ، التعبير باللون في هذا الشعر هو عن التعلق والإرتباط وهو مستخدم بهذا المعنى في موارد أخرى كقول أحد الشعراء « متحرراً هو من لون قبول التعلق » هذا اللون وعديم اللون يعني أن لا يكون متعلقاً بشيء من الطبيعة ، وإذا كان كذلك فلن يقع النزاع ، فكافة أشكال النزاع الواقعة ناشئة من هذا التعلق بالطبيعة التي يريد بها كل إنسان لنفسه بحكم تعلقه بها ، فهذا يريد لها له وذاك كذلك فيقع النزاع في كل شأنٍ من الشؤون ، فما يريد أن يقوله هذا الشاعر هو أن لا لون في الفطرة السليمة وعندما يكون هناك صدأ التعلق فلا نزاع .

لو كان فرعون مثل موسى (عليه السلام) غير متعلق بالدنيا لما حدث كل ذلك النزاع ، ولو اجتمع الأنبياء كلهم في محل واحد لما حدث نزاع بينهم أبداً كل هذه النزاعات هي بسبب أشكال التعلق : - « عديم اللون أصبح أسير اللون » .

الفطرة السليمة التي لا لون فيها لا تعلق فيها ، ولكن عندما يصبح الإنسان أسير التعلق يقع النزاع فإذا زال هذا اللون والتعلق تصالح موسى وفرعون أيضاً .

هذا الموضوع غير الأول والذي أشكل به على أصحاب تلك الأقوال ، لم يلتفت إلى أن هذا الشعر ومعناه مرتبطٌ بنزاعٍ بين اثنين ولا علاقة له بأصل الموضوع المتقدم .

* تعبيرات الأئمة وإقتباس العرفاء

لاحظوا أشكال التعبير الواردة في أدعية الأئمة (عليهم السلام) فهل

أنها تختلف عن تلك التي يستخدمها أولئك - العرفاء - والتي أدت بالبعض إلى الذهاب إلى حدّ التكفير بسبب عدم إلتفاتهم إلى مراد القوم؟! وهذا الباب هو أيضاً باب مرتبة سير الإنسان نفسه .

في المناجاة الشعبانية وهي المناجاة التي كان يقرأها جميع الأئمة - حسبما ورد في الروايات ، ولم أر في الروايات غيرها دعاءً له هذه الميزة - ورد : - « إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك ، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك ؛ إلهي واجعلني ممن ناديتَه فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك . . »^(١) فما هي هذه المعاني والتعبيرات؟! وما معنى هذه التعبيرات التي يقولها السادة والواردة في كلماتهم الأخرى؟! ماذا يعني « كمال الإنقطاع إليك »؟! وماذا يعني طلب جميع الأئمة له؟! ، الإمام المعصوم يطلب كمال الإنقطاع من الله رغم أنه ينبغي أن يكون حاصلاً له في سيره لكنه يطلبه من الله فما يعني ذلك؟! ، وما هي أبصار القلوب هذه التي يطلب من الله إنارتها؟! « وأنر أبصار قلوبنا » ، كيف يريد بالبصر النظر إلى الحق تعالى؟! ما هو هذا القلب وما هو بصره بحيث يكون بهذا البصر القلبي نظره إلى الله تعالى ثم : - « أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك » ، الإمام يطلب من الله كل ذلك من أجل غاية هي : - « حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور » ، وعندما تخرق هذه الحجب : - « تصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك » ، وماذا بعد ذلك؟! إنه « إلهي إجعلني ممن ناديتَه فصعق لجلالك » ما هو صعق الجلال هذا؟! أليس هو ما يذكره القرآن

(١) مفاتيح الجنان (ص ١٥٧) .

الكريم في شأن موسى (عليه السلام)؟! فهل هو غير الفناء الذي يقوله العرفاء؟!

« فصعق لجلالك » مرتبة يرتفع إليه مرتبةً مرتبةً ، أبصار القلوب تخرق جميع الحجب : - « فتصل إلى معدن العظمة » ، ما هو معدن العظمة الذي تصل إليه؟! وما هو هذا الوصول؟! أليس هو نفسه الوصول الذي يقوله أولئك ، « ومعدن العظمة » هل هو غير الحق تعالى؟! هل يمكن لغيره تعالى أن يكون معدن العظمة الذي يجب أن تصدر منه كافة أشكال العظمة؟! ، وعندما تصل إلى هذا المعدن : - « تصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك » ، وهذا المعنى هو نفس ما يقوله أولئك - العرفاء - .

لو إلتفت الإنسان إلى كافة أطراف القضية لما أستطاع أن يعبر عنها « بالعلة والمعلول » لضيق هذا التعبير ، ونفس الأمر يصدق على تعبير « الأثر والمؤثر » ، أما تعبير « الخالق والمخلوق » وهو أفضل من السابقين على مذاق العامة ، لكنّ الأفضل هو تعبير التجلي « تجلي ربه للجبل » ، فهو الأقرب - الأقرب وحسب - إلى المعنى الذي لا يمكن التعبير عنه أصلاً .

* قضية تصورها أصعب من تصديقها

العلاقة ما بين الحق تعالى والخلق هي من القضايا التي يكون تصورها أصعب من التصديق بها ، فتصديقها ممكن إذا تصورها الإنسان ولكن كيف نتصور موجوداً لا يغيب عن أي مكان ولا يغيب عنه مكان؟! موجود في بواطن الأشياء وظواهرها وهي معلولة له أيضاً .

كيف نعبر عن مثل هذا المؤثر الذي هو في باطن آثاره - الأشياء - وفي ظواهرها « لا يخلو منه شيء » ، وما هو التعبير الذي يؤدي حق هذا

المطلب ؟! لا يمكن التعبير عن ذلك إلا لأهله أولئك الذين يدعون بأمثال المناجاة الشعبانية سائلين الله ما سألوه .

وعلى ما تقدم يتضح أنه ليس هناك إختلاف يستوجب أن تنسب طائفة أخرى إلى الكفر وتنسب الثانية الأولى إلى الجهل ، أنتم أيضاً إذا أردتم أن تتحدثوا عن المعنى المتقدم فكيف تعبّرون عنه ؟! إفهموا ما يقوله أولئك ، إفهموا ما في قلب ذلك الإنسان الذي لا يستطيع أن يُعبّر عن ذلك المعنى إلا بمثل تلك التعبيرات ، فمرة يسطع في قلبه نورٌ بدرجةٍ يقول معها : - كلّ شيء هو ، والجميع هو » .

* علي (ع) عين الله ونوره

توجد في أدعيتكم أيضاً تعبيرات من أمثال « علي عين الله ، نور الله ، ويدّ الله »^(١) ، فماذا تعني هذه أليست هي من نظائر التعبيرات التي يستخدمها أولئك ؟! ونفس هذه التعبيرات واردة في الأحاديث الشريفة التي تصف الصدقة التي تضعها في يد الفقير إنما تصل إلى يد الله ، وفي القرآن أيضاً ورد قوله تعالى : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ، المعنى واحد وهو نفس ما تقولونه جميعاً ولكن ذلك المسكين الذي يلمس المعنى عياناً لا يستطيع أن يعبر عنه بهذه الصورة وبالكيفية التي يراه بها ولذلك فهو يستخدم مثل تلك التعبيرات وهي كثيرة في القرآن وخاصة في الأدعية فهي مليئة بهذه التعبيرات التي يستخدمها أولئك ، فلماذا نسيء

(١) وردت في الزيارة الثالثة من زيارات الإمام علي (عليه السلام) وهي مروية عن الإمام الصادق (ع) : « . . . السلام عليك يا نور الله التام . . » (ص ٣٥٢) من مفاتيح الجنان وجاء في الزيارة السادسة (ص ٣٥٥) : « السلام عليك يا عين الله الناظرة وبه الباسطة وأذنه الواعية وحكمته البالغة . . . » .

الظن بمن يستخدمها؟! إسعوا إلى فهم المراد والدافع إلى إستخدامه مثل هذه التعبيرات؟! ما هو الألم الذي إضطره إلى إستخدامها والإعراض عما يستخدمه عامة الناس ، وهو يعلم ماذا سيلقاه بسبب إستخدام مثل هذه التعبيرات ، فلأجل أن لا يضحى بالحقيقة من أجل نفسه ضحى بنفسه من أجل الحقيقة ، ولو أننا فهمنا قوله ومراده لعبرنا عنه بنفس ما عبر به ومثلما إستخدمه أيضاً القرآن والأئمة .

والأمر ليس هو على نحو يكون معه المراد من تعبير « هذا هو الحق » هو أن هذا هو الله واقعاً فما من عاقلٍ يقول ذلك ، ولكنكم ترون ظهوراً لا يمكن التعبير عنه بصورةٍ لا يكون معها انفصال ، مثلما ورد في أحد الأدعية وصف الأولياء : - « لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك ، خلقها بيدك ففتحها بيدك »^(٢) فهذا من باب ضيق التعبير ، وإختيار هذا التعبير من باب كونه الأقرب إلى المعنى ونفس الأمر يصدق على ما ورد في الكتاب والسنة .

لا تسيئوا الظن بالذين يستخدمون هذه التعبيرات ، وأي أشخاصٍ صالحين هم ، لقد عاصرنا عدداً منهم وعرفناهم عن قرب ورأينا حالهم وتبحرهم ودقة نظرهم في كل تلك العلوم ، ورأينا وصولهم إلى الكمال ، هؤلاء كانوا يستخدمون أيضاً مثل هذه التعبيرات ، كالتجلي والظهور ، وتجليك . . .

ورود في دعاء السمات التعبير بـ « طلعتك »^(١) ، والتجلي والنور ،

(١) ورد هذا المقطع ضمن أحد أدعية شهر رجب ، وهو مروي عن المهدي المنتظر أرواحنا لثراب مقدمه الفداء ، راجع مفاتيح الجنان (ص ١٣٤) .
(٢) مفاتيح الجنان (ص ٧٣) .

ونور وجهك وبإسمك . . . ، وعليه فأصلحوا حال الذين يُسيئون الظن بهؤلاء العظام ، بالطبع أنا لا أريد تنزيه الجميع (فعندما أَدافع عن الحوزويين وعلماء الدين لا أقصد أن جميعهم على نحو واحد وبمستوى واحد) إنّ ما أعترض عليه هو أن تُسقطوا الجميع وليس أنني أطالبكم بتأييد الجميع ، وهنا أيضاً فما أريد قوله هو أن لا تتوهموا كفر كلّ مَنْ قال مطلباً عرفانياً أو نطق بكلمة عرفانية .

* حققوا في المطلب أولاً .

انظروا أولاً إلى ما يقوله وما هو مراده ومقصوده منه ، فلا أعتقد أن من يفهم مقصوده سينكره عليه ، فهذه القضية هي كقضية قصة مثل « العنب وأنكور وأوزوم » ، فالأمر واحد أنتم تعبرون عنه بتعبير معين ، والآخر يحدث عنه ضمن مصطلح العلية والمعلولية والثالث بالسببية والمسببية والرابع بالظهور والمظهر .

حسناً نحن أيضاً بماذا نعبر عن وجود موجود في كل مكان وهو كل الأشياء ولكنه ليس بشيء منها؟! ترون الأحاديث الشريفة تقول : « علي يد الله علي عين الله »^(١) ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾^(٢) ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾^(٣) ، و ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾^(٤) ، فهل الـ « فوق » هنا مكاني؟! كلا بل هو « فوق » معنوي ، علو لا يمكن التعبير عنه ، ولا يمكننا التعبير عنه بما هو حق التعبير .

(١) تقدم ذكر مصدرها .

(٢) سورة الأنفال الآية ١٧

(٣ و٤) سورة الفتح الآية ١٠ .

كما أنّ الله تبارك وتعالى أجلّ من أن يكون مختلطاً بشيءٍ أو مرتبطاً بشيءٍ وفق هذه المعاني ، بل وجلّ وتعالى عن أن نفهم كيفية تجليه وظهوره ، فحتى تجليه مجهول لدينا ، لكننا نؤمن بواقعية الأمر ولا ننكرها ، ونرجو أن نكون معتقدين بما ورد في القرآن والسنة عن هذه القضايا وعن تجلي الحق تعالى لخلقه وظهوره وكونه ﴿ هو الظاهر والباطن ﴾ ، كما ورد في سورة الحديد ، وقد ورد في الحديث الشريف أنّ الآيات الستة الأولى من سورة الحديد قد أنزلت لرجالٍ يأتون في آخر الزمان هم الذين يفهمونها ، وفيها كيفية الخلق وأمثالها وفيها يقول : - ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ ، ﴿ هو معكم أينما كنتم ﴾^(١) ، وحتى آخر الزمان هذا لن يشهد بتلك السرعة ظهور من يستطيع أن يفهمها ، فلعل شخصاً واحداً أو إثنان سيظهران في العالم يستطيعان فهمها .

* شمولية الإسلام وأصوله

إن ما أدعوه بالدرجة الأولى هو أن يرتفع سوء الفهم بشأن هذا الموضوع ويزول الاختلاف المدرسي بين أهل العلم ، وتزول العقبات عن طريق إنتشار المعارف ، فالإسلام لا ينحصر في الأحكام الفرعية ، فهذه فرعٌ والأصل شيء آخر ، ولا ينبغي أن نضحّي بالأصل من أجل الفرع ، ونقول أن لا وجود للأصل أساساً أو نخترع أصلاً غير واقعي .

(١) « . . . سئل علي بن الحسين (عليهما السلام) عن التوحيد فقال : إنّ الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأُنزل - الله تعالى - ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك » إصول الكافي (ج ١ ، ص ٩١) باب النسبة .

ينقل أحد السادة أن الشيخ محمد البهاري - على ما يبدو - قال عندما ذكر أحد الأشخاص ، « إنه عادلٌ كافر » ، فقلنا : - كيف هو عادل وكيف هو كافر ؟! فأجاب : - « عادلٌ لأنه يعمل وفق الموازين الشرعية ولا يرتكب المعاصي ، لكنه كافر لأن الإله الذي يعبد له ليس هو « الله » .

* كل موجود يرى كمال الله من نفسه

وقد ورد في رواياتنا أن النملة تتوهم أن الله زبانيّتين^(١) ، وهذا من حب النفس ويفهم أنه موجود في النملة أيضاً ، والنملة مخلوق عجيب حقاً ، وهي عندما تتصور أن الله زبانيّتين فلكونها تعتبر أن إمتلاك زبانيّتين كمالاً - على ما يبدو - ، ونحن أيضاً عندما نريد أن نعبر عن كمالاته تعالى ننطلق مما نتصوره كمالاً عندنا .

هذه النملة تصف سليمان وجنوده بأنهم لا يشعرون : ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكاً من قولها ﴾^(٢) ضحك من أن تقول له ذلك ، وقول النملة هذا موجودٌ في كل مكان ينطق به كل شيء - قال مثله الهدهد أيضاً ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾^(٣) ، والخطاب هنا هو لسليمان النبي الذي

(١) « . . . وفي كلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) إشارة إلى هذا المعنى حيث قال : « كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوعٌ مثلكم مردود إليكم ، ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله تعالى زبانيّتين ، فإن ذلك كمالها وتوهم أن عدمها نقصانٌ لمن لا يتصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به » انتهى كلامه (صلوات الله عليه . . . كتاب التوحيد العلمي والعيني (ص ٢٥٢-٢٥٣) نقلاً عن كتاب « الأربعين » للشيخ البهائي .

(٣) سورة النمل الآية ١٨-١٩ .

(٤) سورة النمل الآية ٢٢ .

جلب أحد أصحابه وجلساؤه عرش بلقيس : ﴿ قبل أن يترد إليك طرفك ﴾ ^(١) ولم يحدث مثل هذا للإنسان حتى الآن ، فكيف جلبه وماذا كانت حقيقة الأمر ؟! هل كانت إتصلاً أم إعداماً وإيجاداً أم تحويلاً للعرش إلى موجات كهربائية ثم إيصاله وإعادته إلى ما كان عليه ؟! نبي الله سليمان كان أحد أصحابه يعرف حرفاً من الإسم الأعظم - كما ورد في الروايات - ^(٢) وهو يأتي له بالعرش ﴿ قبل أن يترد إليك طرفك ﴾ ، ويخاطبه الهدهد : ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾ وسليمان (عليه السلام) لا يعترض فهو كان يجيب على قدر فهمهم ويتعامل معهم وفق ذلك .

* الحرمان من الحقائق المعرفية ظلم

إن الذي أريد قوله هو أن من الظلم أن تبقى طائفة من أهل العلم الصالحين الطيبين محرومةً من هذه الحقائق ومعارفها .

عندما جئنا إلى قم كان فيها المرحوم الميرزا علي أكبر الحكيم (رحمه الله) ، وعندما تأسست الحوزة العلمية في قم ، قال أحد « المقدسين » - توفي أيضاً - (رحمه الله) : « انظروا إلى أين وصل

(١) سورة النمل الآية ٤٠ .

(٢) جابر الجعفي عن الباقر (ع) قال : « إن إسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفه عين ، وعندنا نحن من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله تبارك وتعالى إستأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » راجع الكافي للكليني (ج ١ ، ص ٢٣٠) وهناك طرق أخرى عديدة للحديث المتقدم كما وردت أحاديث أخرى بمعناه في الكافي وغيره .

الإسلام بحيث فتحت حتى باب منزل الميرزا علي أكبر ؟!

العلماء كانوا يذهبون للدراسة عنده أمثال السادة المرحوم الخوانساري والمرحوم الإشراقي ورغم ذلك يقول الرجل : - « انظروا إلى أين وصل الإسلام بحيث فتحت باب منزل الميرزا علي أكبر أيضاً » ، يقولون بشأن الميرزا مثل هذا القول رغم أنه كان صالحاً للغاية ، ولكن قائلهم صعد المنبر بعد وفاة الميرزا علي أكبر وقال إنه شاهده بنفسه يقرأ القرآن!! ، وقد تأذى المرحوم الشاه آيادي من هذا القول .

من الظلم أن تُحرم حوزة علمية من بركات وخيرات موجودة ، أن تُحرم حتى من الفلسفة وهي علمٌ عادي فضلاً عن غيرها ، والمهم هو عدم وصول من فيها إلى حقيقة المطلب ، وهذا ما دفعني إلى الحديث المتقدم ، فلو أدركوا حقيقة الأمر لما كان هناك نزاع ولما كان هناك تكفير لمن يستخدم تلك التعبيرات ، فلو أدركوا ما يقول لما أنكروا فهم لا يدرون ما الذي يقوله ، ولذلك ينكرون وهذا هو إبتلاءه فتعبيره « كفري »!! وهو يرى أن التعبير بالعلية والمعلولية لا يعبر عن حقيقة الأمر .

وما قلته بضع مرات خلال الأيام الماضية من أن الاسم غير مستقل عن المسمى ، فهو لكون أن الاسم ظهورٌ وعلامة ولكن ليس كالعلامات التي توضع لفراسخ المسافات ، فلا يمكن التعبير عنه بأنه علامة ، بل « الآية » كمفردة أقرب للواقع ، وهذه هي أيضاً تعبير يستخدم لـ « ضيق الخناق » .

القرآن أيضاً جاء وفق ذلك ، وكما قلت سابقاً فهو مثل المائدة التي يجب أن ينتفع كل إنسان بما فيها قدر سعته ، وهي ليست حكراً على فئة خاصة ، بل هي للجميع وعلى الجميع أن ينتفعوا منها كل على سعته ،

وكذلك الحال مع أدعية الأئمة (عليهم السلام) ففيها كنوزٌ من المعارف ، ولكن مع ذلك فهم يقومون بفصل الناس عنها .

* الدعاء يفسر القرآن

الأدعية مليئة بالمعارف وهي لسان القرآن ومفسرة القرآن بخصوص القضايا التي لا يصلها الآخرون .

لا ينبغي عزل الناس عن الأدعية ، ولا ينبغي القول بأننا ما دمنا وصلنا إلى القرآن ونريد تلاوته فلا حاجة للدعاء ، كلا ، يجب أن يأنس الناس بالدعاء فبذلك يصلون إلى الأنس بالله .

أولئك الذين يأنسون بالله المتحررون من أسر الدنيا ، والذين لا يرون لأنفسهم قيمة ، العاملون لله ، ومنهم المقاتلون في سبيل الله ، هؤلاء هم قراء الأدعية ، لهم تلك الحالات وهم يقاتلون في سبيل الله ، فلا ينبغي عزل الناس عن هذه البركات ، القرآن والدعاء ليسا منفصلين مثلما أن النبي ليس منعزلاً عن القرآن .

لا ينبغي لنا القول بأن لدينا القرآن فلا حاجة لنا بالنبي ، الأمر واحد وهما معاً و« لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »^(١) ، فلا إفتراق ، ولا ينبغي أن نفصل بينهما ، فنأخذ القرآن بمعزلٍ عن الأئمة والأئمة بمعزل عنه ، والأدعية بمعزل عنه ، ونقول لا حاجة لنا بالأدعية فلنحرق كتبها أو مثلاً لنحرق كتب العرفاء ، فمثل هذا الموقف ناشئٌ من كون أصحابه لا يعلمون ما الأمر ، مساكين ، والإنسان إذا تجاوز حده سقط في الخطأ .

(١) ذيل حديث الثقلين الشهير .

* عاقبة الغرور

« كسروي » كان مؤرخاً ، معلوماته التاريخية كانت جيدة ، بيانه كان جيداً ولكنه سقط في الغرور حتى وصل به الحال أن قال : - « أنا نبيُّ أيضاً » أعرض عن الأدعية كافة وقبل القرآن ، أنزل النبوة حتى أوصلها إلى مستواه لم يستطع الإرتفاع إليها فأنزلها إلى مستواه .

الأدعية والقرآن وأولئك ليسوا منعزلين عن بعضهم البعض ، كما أن العرفاء والشعراء العرفانيون والفلاسفة جميعهم يتحدّثون عن حقيقة واحدة والذي يختلف هو أشكال التعبير ، فللشعر لغته الخاصة ، و« حافظ » نفسه له لغته الخاصة ، يتحدث عن نفس تلك الحقائق ويقول ما يقوله أولئك ولكن بلغة أخرى ، أشكال التعبير هي التي تختلف فلا ينبغي إبعاد الناس عن هذه البركات ، بل يجب عليهم أن ينتفعوا من هذه المائدة الإلهية الكبيرة العامرة التي تشمل القرآن والسنة والأدعية ، فقد دعى الله الجميع للإنتفاع منها كل على سعته .

* مقدمة . . ولكن وا أسفاه

كانت هذه مقدمة للمواضيع التي ستأتي تباعاً لو كان لنا عمر ، فإذا إستخدمنا أحياناً مثل أشكال التعبير تلك فلا تقولوا أنك أعدت هذه التعبيرات مرة أخرى إلى الساحة ، كلا ولا ، يجب أن تعود هذه التعبيرات مرة أخرى .

إنني قلتُ للمرحوم الشيخ الشاه آبادي (رحمه الله) وكان يحدث عدداً من الكسبة عن هذه القضايا مثلما كان يحدث بها الجميع ، قلتُ له : - أين هؤلاء من هذه القضايا؟! فأجاب : - « دُع هذه الكفریات تطرق أسمع هؤلاء أيضاً!! » .

نعم . . . كان لدينا مثل هذه الشخصيات ، فاذا لم تنسجم مع ذوقي
فلا ينبغي الإنكار والقول : - ما هذه ؟ ! وفلان وفلان !! ، هذه المواقف
خاطئة .

والحديث الآن هو في « الرحمن والرحيم » الموجودين في البسملة
وفي ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ﴾ ، فهل هما في البسملة
صفات للإسم أم « لله » ؟ هناك احتمالان سنرى فيما بعد إن شاء الله ،
أيهما أقرب للفهم والسلام .

نهاية الدرس الخامس من دروس التفسير المعرفية التي ألقاها الإمام
الخميني - خلد الله نهجه - .

الفهرس

مقدمة المترجم	٥
التفسير بالأهواء	١٢
تفسيراتنا هي على نحو الإحتمال	١٣
الدرس الأول	١٥
أسماء الله علائم ذاته	١٧
العالم كافة إسم الله	١٨
الموجودات آيات الله	١٩
المحدود ممكن الوجود	٢٠
ما هو الإسم الأعظم	٢١
كلّ يسبح بحمده	٢١
المجاهيل الكثيرة	٢٣
الحركة بسم الله	٢٣
الكل من تجلياته	٢٥
الله: التجلي الجامع	٢٥
التصديق غير الإعتقاد العلمي	٢٨

٢٩	الصور الأخرى للأعمال
٣٠	الإدراك العقلي والتصديق
٣١	علي (ع) التجلي الإلهي العظيم
٣٢	رأس البلاء
٣٣	كل المحامد لله
٣٣	خشبية قدم الإستدلاليين
٣٥	الدرس الثاني
٣٩	فناء الظاهر في مبدأ الظهور
٣٩	إحتمالات الحمد
٤٢	المشيئة هي الظهور الأول
٤٣	مراتب الأسماء
٤٣	هجرة الى الله
٤٥	الوديعة الإلهية
٤٥	أعدى الأعداء
٤٦	العبادة الحقة
٤٦	الأنانية أم المصائب
٤٨	الهدف من بعثة الأنبياء
٤٩	الجهاد الأكبر
٤٩	الإخلاص الإلهي
٥٠	عبادة من أجل الجنة

٥١	القيام لله
٥٢	وصية للشباب
٥٣	جاهدوا للإنتصار على النفس
٥٥	الدرس الثالث
٥٧	العلاقة بين الحق والخلق
٥٩	معاني الحمد
٦٠	تجليات الإسم الأعظم
٦١	نزول القرآن وتنزله
٦٣	معنى التجلي لموسى (ع)
٦٤	حقيقة القرآن
٦٥	معرفة القرآن
٦٦	محنة الرسول الأكرم (ص)
٦٦	الإحتكار العلمي
٦٧	علم التوحيد قد يصدّ عن التوحيد
٦٨	الوسيلة والغاية
٦٩	للمعلم آثار سيئة أيضاً
٧٠	القيام « الله » أولاً
٧١	مصدر الفتن
٧١	المعيار في التعلق
٧٢	سر إنتقاص الآخرين

٧٣	المرتبة العليا: دوام الحضور
٧٤	المعنويات والحركة
٧٥	الدعاء والتحرك النهضوي
٧٦	كل الأعمال لله
٧٧	تأثير الدعاء في النفوس
٧٧	الفصل بين القرآن والدعاء والحديث
٧٨	الدعاء والوصول للكمال
٨١	الدرس الرابع
٨٣	« باء » البسمة ليست سببية
٨٤	قضية حديث النقطة تحت الباء
٨٤	الولاية الأحمدية والعلوية
٨٥	لا فصل بين التجلي والمنجلي
٨٧	الذات والتجليات والبحر والأمواج
٨٨	فقدان أي كمال يؤدي الى التعين
٨٩	المشاهدة فوق البرهان والعمى
٩٢	ما ندركه هي الأعراض
٩٣	سعة علم الغيب
٩٤	وجوداتنا تجليات
٩٥	التعين لازمة التجلي
٩٦	عدم الإنكار هو الخطوة الأولى

٩٧	إنكار المجهول نمط من الكفر
٩٨	الله لا يخيب من سألَه
٩٩	القرآن مائدة عامة
١٠١	الدرس الخامس
١٠٤	مصالحة بين الطوائف وإشكال التعبير
١٠٦	إشكالية التعبير بالعلة والمعلول
١٠٦	إشكالية التعبير بالأثر والمؤثر
١٠٧	الأقرب للواقع وليس الواقع
١٠٩	دوافع النزاعات
١٠٩	تعابير الأئمة وإقتباس العرفاء
١١١	قضية تصورهما أصعب من تصديقها
١١٢	علي (ع) عين الله ونوره
١١٤	حققوا في المطلب أولاً
١١٥	شمولية الإسلام وأصوله
١١٦	كل موجود يرى كمال الله من نفسه
١١٧	الحرمان من الحقائق المعرفية ظلم
١١٩	الدعاء يفسر القرآن
١٢٠	عاقبة الغرور
١٢٠	مقدمة.. ولكن وا أسفا
١٢٣	الفهرس

